المقدمة

الحمد لله ، أهل المجد والثناء،الذي يفعل ما يشاء، يبتلي من عباده الأصفياء، فيرفع عنهم بصبرهم ويقينهم البلاء، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء، نبينا محمد وعلى آله الأتقياء، وأصحابه الأوفياء، أما بعد: فالدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار وامتهان، قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائفَ الأَرْض وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَاب وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ الملك2

قال ابن القيم رحمه الله :« فالعبد في هذه الدار مفتونٌ بشهواته ونفسه الأمارة، وشيطانه المغري المزين وقرنائه، وما يراه وما يشاهده مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر وذوق حلاوة العاجل وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ، فهو مكلفٌ بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة، لغيبٍ طلب منه الإيمان به .» [1]

ولقد تكاثرت الفتن في هذا الزمان وتعددت ألوانها ، وذلك لأن كثرة الفتن وظهورها من علامات الساعة ، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال:« يتقارب الزمان ، ويقبض العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج " قالوا : وما الهرج ؟ قال " القتل» [2]

وفي الآونة الأخيرة ظهرت فتن هوجاء في كثير من مناطق العالم الإسلامي، فأزهقت العديـــد مـــن الأرواح، وأتلفت الممتلكات، وهدمت صوامع وبيع ومساجد يذكر فيها اسم الله، ودمرت الـــبنى التحتية لبعض البلدان فتراجعت إلى حالتها قبل عقود من الزمان،، وذلك كله بأيدي أناس تجرئـــوا على الفتن بمحض الاختيار.

والملاحظ لما يحدث اليوم يستوقفه شيئان: أولهما : أن الأحداث التي وقعت –وإن سماها بعضـــهم "ثورات" – فهي فاقدة لمفهوم الثورة الصحيح، فإن هذه الأحداث تتميز بعدم وجود قائد لها، ولا

---

(1) الفوائد ص (23) بيروت – دار العلم للملايين.

(2) رواه البخاري رقم 7061 ومسلم برقم 157

خطة مرسومة، فهي كالجمل الهائج الذي لا زمام له ولا خطام، فالتسمية الصحيحة لها أنها **فتن**.

ثانيهما : انحصار الأحداث في العالم الإسلامي عامة والعربي منه خاصة، مما يستدعي وقفة تأمل جادة لتلمس أسبابها، واستجلاء حقيقة ما يحدث ، واستخلاص الحلول الناجعة لهذه الأزمات، انطلاقاً من هدي الإسلام وشريعته الغراء.

ولقد عودتنا لجنة الدعوة في إفريقيا أن تكون صاحبة المبادرة – بجهودها الدائبة،وحسن اختيارها لموضوعات ملتقياتها السنوية– في الدعوة إلى إيقاظ الوعي الإسلامي ، والوقوف مع كل حدث يلم بالأمة ، عن طريق القيام بدراسة الوقائع والأحداث، دراسة فاحصة متأنية، لتلمس الأسباب، وتشخيص الداء، والوصول إلى العلاج الناجع، كل ذلك رغبة في النهوض بهذه الأمة من عثراتها، واستدراك ما فاتها، لتلحق بالمكانة اللائقة بها كأمة قائدة رائدة ذات رسالة عالمية .

ومن هنا جاء موضوع ***(موقف المسلم من الفتن)*** أنسب موضوع يمكن أن يدرس هذا العام..

وإن القارة الإفريقية بعلمائها لمدينةٌ لهذه اللجنة بالشكر والعرفان وعلى رأسها رئيسها وربان سفينتها صاحب السمو الأمير الدكتور بندر بن سلمان بن محمد آل سعود مستشار خادم الحرمين الشريفين، كفاء الجهود الجبارة التي قدمتها لهذه القارة على مدى عقدين من الزمن، وأنا شخصيا أشعر بالفخر والاعتزاز ببلوغ هذه الملتقيات رقمها العشرين، متزامنا مع الإعلان عن قيام ***اتحاد علماء إفريقيا*** منذ أسابيع قليلة في باماكو عاصمة جمهورية مالي، وإني لأقول جازما: إن مشاركات باحثينا في هذه الملتقيات شبابا وكهولا وشيوخا لمدة عشرين عاما كانت هي العامل الرئيس في تلقيح الفهوم، وإيقاظ الوعي، واستنهاض الهمم ،والشعور بالمسئوليات فكان الاتحاد، ولله الحمد.

هذا:والخطة المعتمدة تقتضي تقسيم الموضوع إلى تمهيد، وخمسة فصول، تحت كل فصل عدد من المباحث، مذيلةً بخاتمة وفهارس.. فإلى التمهيد:

التمهيد

معنى الفتنة لغة واصطلاحا والحكمة منها.

قبل الخوض في الحديث عن جوانب الفتن يجدر بنا أن نعرف بالفتنة في اللغة والاصطلاح.

أولا: تعريف الفتنة لغة:

قال ابن فارس :« الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار.

ومنه قول الشاعر:

بليت وفقدان الحبيب بليَّةٌ * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر.» [1]

فالبلية هنا بمعنى الفتنة سواء بسواء..

وقال الجوهري:« تقول فتنتُ الذهب إذا أدخلته النار، لتنظر جودته ، وهو مفتون وفتين.»[2]

ويسمى الصائغ فتَّاناً لإذابته الذهب والفضة في النار. [3]

وفُتن الرجل فهو مفتون إذا أصابته عارضة محبة، أو عاهة، فذهب عقله من شـــدة المحبـــة أو مـــن الجنون. وقال في القاموس: «المفتون المجنون.» [4] ومنه قول الشاعر:

رخيم الكلام قطيع القيام * وأمسى فؤادي بها فاتنا [5] أي: مفتوناً

وقال عبد الرحمن بن الحارث الهمداني المعروف بأعشى همدان:

لئن فتنتني فهي بالأمس أفتنت * سعيدا فأمسى قد قلا كلَّ مسلم [6]

فتلخص من هذا أن الفتنة في اللغة العربية تطلق ويراد بها عدد من المعاني، ومنها :

1. الامتحان والاختبار والابتلاء، وهو الأصل في الباب.

---

(1) (معجم مقاييس اللغة مادة (فتن) القاهرة/ مكتبة الخانجي/ الطبعة 3 تحقيق عبد السلام هارون)

(2) (الصحاح 2175/6 مادة فتن) /بيروت/ دار العلم للملايين/ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار

(3) (تاج العروس من جواهر القاموس/ لمحمد مرتضى الزبيدي/ بيروت/ مكتبة دار الحياة

(4) (القاموس المحيط للفيروزأبادي/ مادة فتن /ط7 /مؤسسة الرسالة/ 1410هـــ)

(5) (لسان العرب، لابن منظور، 318/13 مادة فتن، /ط بيروت /دار الفكر/1410هـــ

(6) (ديوان أعشى همدان ص162)

2. التحريق بالنار، ومنه: (فتنت الذهب والفضة): إذا حرقتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد، وهو أيضا من الاختبار.

3. الإعجاب وشدة المحبة والولع .

4. الجنون.

5. وتأتي الفتنة لمعان أخرى كالفضيحة، والكفر، والإثم، سوف نشير إليها إن شاء الله عند الحديث عن الفتنة في القرآن.

تلك بعض المعاني التي فسر بها العرب "الفتنة" في لسانهم، إلا أن المعنى الأول – وهو (الابتلاء) – هو جماع تلك المعاني كلها، كما صرح بذلك الأزهري[1] وابن منظور[2] ، وغيرهما.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أصل الفتنة الاختبار ، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه، أو آيل إليه، كالكفر، والإثم ، والتحريق والفضيحة،والفجور ، وغير ذلك.» [3]

ثانيا: تعريف الفتنة اصطلاحا.

مفهوم الفتنة الذي يتناسب مع هذا البحث هو: **شدائد الدنيا ونعمها العامة والخاصة التي يجريها الله على عباده على وجه الحكمة ابتلاء وامتحانا.** [4]

وعلى هذا المعنى يتحدد مقصود البحث، وقطبه الأساس الذي عليه يدور رحى فصوله ومباحثه. فإلى الفصل الأول بمباحثه الثلاثة:

---

(1) انظر: الصحاح للجوهري 223/2 مادة "فتن".
(2) انظر: لسان العرب 317/13 مادة "فتن".
(3) (فتح الباري 11/2، 5/13)
(4) (انظر قريبا منه : الفتنة وموقف المسلم منها لمحمد بن عبد الوهاب العقيل، / الجامعة الإسلامية بالمدينة /ط1/ 1429هـ/2008م) (ص16) غير أنه خصص الفتنة بالشدائد.

الفصل الأول: الفتنة في الكتاب والسنة

يتناول هذا الفصل بمبحثيه الأول والثاني معاني الفتنة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولما كان معظم الآيات والأحاديث تتناول الفتنة من زاوية إنزال الشدة والبلاء على الخلق كان لا بد من الإشارة إلى حكمة الله في ذلك فكان المبحث الثالث.

المبحث الأول : الفتنة في القرآن

تأتي الفتنة في القرآن لعدة معان، ومنها:

1. الابتلاء – وهو أصل الباب–، ومنه قول الله تبارك وتعالى: [**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**] {البقرة:102} ومعنى الفتنة هنا: "البلاء"، أي: "إنما نحن بلاء لبني آدم، فلا تكفر بربك"[1].

2. **الضلالة**، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: [**وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا**] {المائدة:41} ، أي: ضلالته، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: « ومعنى الفتنة في هذا الموضع: الضلالة عن قصد السبيل، يقول تعالى ذكره: ومن يرد الله يا محمد مرجعه بضلالته عن سبيل الهدى فلن تملك له من الله استنقاذا مما أراد الله به من الحيرة والضلالة، فلا تشعر نفسك بالحزن على ما فاتك من اهتدائه للحق»[2].

3. **الإضلال**: ومنه قول الله سبحانه: [**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**] {آل عمران:7} ومعنى الفتنة هنا: هو "الإضلال"، أي: "الإضلال لأتباعهم، إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم"[3].

4. **العذاب**، ومنه قول الحق تبارك وتعالى في شأن المشركين:[**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**] {الذاريات:14} ، أي: عذابكم وحريقكم ،، فسرها به مجاهد وغيره .[4]

5. **التحريق بالنار**: ومن هذا قوله عز وجل:[يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ] {الذاريات:13} وقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري 461/1.
(2) جامع البيان 238/6. وانظر تفسير ابن كثير، وفتح القدير للشوكاني)
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 298/1.
(4) (انظر: تفسير القرآن العظيم، وفتح القدير للشوكاني عند تفسير الآية)

الحَرِيق] {البروج:10} أي: حرَّقوا المؤمنين بالنار.

6. **القتل**، ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: [**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ**] {يونس:83} ، أي: أن يقتلهم.

7. **الكفر والشرك**:ومنه قوله عز من قائل: [**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**] {البقرة:191} ومعنى الفتنة هنا: هو "الكفر والشرك"، أي: "شركهم بالله تعالى وكفرهم به أعظم جرما، وأشد من القتل الذي عيروكم به"[1].

7. **الصد عن طاعة الله في المترَّل**: كقول الله عز وجل: [**وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**] {المائدة:49}

ومعنى الفتنة هنا: هو "الصد"، أي: « واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاءوك محتكمين إليك أن يفتنوك، فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه، فيحملوك على ترك العمل به واتباع أهوائهم »[2]. ومثله قوله تعالى: [وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا] {الإسراء:73} ، أي: يوقعونك في بلية وشدة في صرفهم إياك عما أوحي إليك.

8. **العقوبة العاجلة**: ومنه قول الحق سبحانه: [**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**] {الأنفال:25}

ومعنى الفتنة هنا: هو "العقوبة والعذاب". قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب"[3].

المبحث الثاني : الفتنة في السنة

تضافرت الأحاديث الكثيرة في السنة النبوية وتظاهرت على حدوث الفتن في واقع الأمة المسلمة في آخر الزمان، ومن ذلك:

ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ستكون فـــتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن للطبري 234/2.
(2) انظر: جامع البيان 273/6.
(3) انظر: جامع البيان 218/9.

لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به»[1].

وما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيﷺ قال: «يتقـــارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج». قيل: يا رسول الله وما الهـــرج؟ قال: «القتل»[2].

وما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: « والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل»[3].

ومن ذلك ما رواه مسلم عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة أنه قال : دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه ، فأتيتهم فجلست إليه فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل [4]، ومنا من هو في جشَره [5]، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتن فيرقق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول هذه هذه ، فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. » [6]

بل إن تلك الفتن ستشتد آخر الزمان شدة عظيمة تخرج عن نطاق التحمل، لدرجة أن الإنسان يذهب إلى المقبرة ويتمنى أن لو كان أحد أمواتها قبل حدوث هذه الفتن، ففي حديث أبي هريـــرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه»[7].

---

(1)رواه البخاري برقم (7081) ومسلم (2886)
(2)رواه البخاري رقم (7061)ومسلم برقم (157)
(3) أخرجه مسلم برقم (2908)
(4) (قال النووي : هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب)
(5) قال النووي: "وهي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها "
(6) صحيح مسلم برقم (1844)
(7) أخرجه البخاري برقم (7115) ومسلم برقم (157)

فهذه الفتن ـــ نسأل الله تعالى السلامة من مضلاتها ـــ قد كسر بابها فلن يغلق أبدا، لما ثبت في الصحيحين أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سأل خـــبير أحاديـــث الفـــتن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه عن الفتن التي تموج كموج البحر؟، فقـــال: "ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا" قال عمر: "أيكســـر البـــاب أم يفتح؟"، قال: "بل يكسر"، قال عمر: إذا لا يغلق أبدا، فسأل مسروق حذيفة عن الباب، فقـــال: الباب عمر، وكان عمر يعلم ذلك"[1].

وإذا فتح باب الفتن بلا إغلاق، فإن هذه الفتن لا تزال تباعا تخيم على الأمة بظلماتهـــا، حـــتى يأذن الله تبارك وتعالى بقيام الساعة، كما ثبت ذلك في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم»[2].

ومن هذا الاستعراض الموجز يتبين بجلاء أن دواوين السنة المطهرة المنقولة أحاديثها عمن لا ينطق عن الهوى قد حفلت بالأخبار الكثيرة والمستفيضة عن حدوث تلك الفتن في واقع الأمـــة ولا محالـــة، فنسأل الله تعالى العون والتسديد والتثبيت.

وبما أن الفتن المذكورة في هذه الأحاديث أمور غيبية، فإن الحديث عنها حديث عن موضوع شائك وخطير، أما كونه شائكا فلأنه متعدد الجوانب، متشعب الاتجاهات، لا يمكن لأي باحث أن يلـــم شعثه، وأن يقضي منه تفثه في صفحات محدودة كصفحات هذا البحث.

وأما الخطورة فيه فتكمن في قضية تكييف تلك الأخبار النبوية على واقع الحال لكل فتنة تعصـــف بالأمة الإسلامية؛ لأن ذلك التكييف قد يكون سببا في طيش الأقلام وجنوح الأفهام، مما يوجـــب الحذر غاية الحذر في طرح هذا الموضوع والتعامل معه.

وحيث كثر الخوض في إسقاط أحاديث الفتن على ما يجري في الساحة الإســـلامية مـــن وقـــائع وحوادث، الأمر الذي قد يفضي إلى شطحات عن المنهج الأقوم في هذا الشأن، فقد رأيت أن مـــن الواجب الشرعي التصدي لبيان الموقف الحق الذي يحتم على المسلم أن يلزم نفسه به وفق ضـــوابط شرعية ومعايير مرعية، هي المنار لترشيد المسار في قضية ربط الفتن الواقعية بالنصـــوص الشـــرعية، وهذا المنهج الشرعي يستلزم التأني في إسقاط الأحاديث على الوقائع، والتقيد بتفســـير النصـــوص حسب القواعد الشرعية الثابتة، لاسيما إذا ظفر الباحث بنصوص يفسر بعضها بعضا.

ولنمثل لهذا الأمر الخطير بحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عن مطلع الدجال، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(1) رواه البخاري برقم (525) ومسلم برقم (2905)
(2) أخرجه أبو داود برقم (4259) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (2049)

« اللهم بارك لنا في شأمنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا قال: اللهم بارك لنا في شأمنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان.» [1]

هذا الحديث استدل به بعض أهل الأهواء والبدع على أن المراد بـــ"نجد" نجد اليمامة، فطعن على الدعوة الإصلاحية التي قامت في نجد على يد الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله،، وهذا من الجهل المطبق، والمخالفة الصريحة للقواعد الشرعية، والآداب المرعية، وللرد على هذه الشبهة أقول: **أولا**: كان عليه أن يقوم بجمع الروايات في الموضوع حتى يقف على المراد من لفظة "نجد"، قال الإمام أحمد رحمه الله :« الحديث إذا لم تجتمع طرقُه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا.» [2]

وقال ابن حزم رحمه الله: « تأليف كلام رسول الله ﷺ وضم بعضه إلى بعض، والأخذ بجميعه فرض لا يحل سواه.» [3]

وقال القاضي عياض رحمه الله: « فالحديث يفسر بعضه بعضا، ويرفع مفسره الإشكال عن مجمله ومتشابهه.» [4]

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله:« الأولى تفسير كلام النبي ﷺ بعضه ببعض.» [5]
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « إن المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها ثم يجمع ألفاظ المتون إذا صحت الطرق، ويشرحها على أنه حديث واحد؛ فإن الحديث أولى ما فسر بالحديث» [6] وكلام أهل العلم في هذا الباب يطول.

---

(1) رواه البخاري برقم (7094)
(2) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (212/2)
(3) المحلى (240/3)
(4) إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم (133/5)
(5) تهذيب السنن (149/5)
(6) فتح الباري (475/6)

ثانيا: إذا عرفت ما سبق فاعلم أن مجانبة هذا المنهج العلمي الرصين هو الذي أدى بذلك المتهوك إلى جمله هذا الحديث على ما يمليه عليه هواه؛ فإن هذا الحديث جاء بروايات توضح المقصود من لفظ "نجد" الوارد فيه،وأنه العراق لا نجد اليمامة، وليس بعد تفسير الرسول ﷺ من تفسير يلتفت إليه.

روى الفسوي، وأبو نعيم، وابن عساكر، عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « اللهم بارك لنا في مكتنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا. فقال رجل : يا رسول الله وفي عراقنا، فأعرض عنه فرددها ثلاثا، كل ذلك يقول الرجل: وفي عراقنا، فيعرض عنه، فقال: بها الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان.» [1]

ورواه الطبراني عن ابن عمر مرفوعا بلفظ: « اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، فقالها مرارا، فلما كان في الثالثة أو الرابعة، قالوا يا رسول الله وفي عراقنا؟ قال: إن بها الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان. » [2]

وهذا النوع من أحاديث الفتن من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، حيث نصت على أن كثيرا من الزلازل والفتن سوف تظهر في العراق.

وجدير بالذكر أن العراق المعروفة آنذاك ليست محصورة في الحدود الجغرافية المعروفة اليوم، بل يمتد إلى الشرق لغاية ما عرف بخراسان، ويدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: قال أبو بكر: هل بالعراق أرض يقال لها "خراسان"؟ قالوا:نعم. قال: فإن الدجال يخرج هناك. [3]

---

(1) المعرفة والتاريخ (2/746-747) وحلية الأولياء (6/133) وتاريخ دمشق (1/130-131) وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (2246)

(2) المعجم الكبير برقم (13422) وإسناده جيد، وانظر: العراق في أحاديث وآثار الفتن، لمؤلفه مشهور حسن آل سلمان (ص119 هامش 2)

(3) المصنف (8/654) بسند صحيح..

قال الشيخ مشهور حسن: « دلت أحاديث وآثار كثيرة صحيحة على خروج الدجال من (خراسان) و(أصبهان) وهبوطه (خوز) و(كرمان) وهي جميعها الآن في (إيران) »[1]

المبحث الثالث : سنة الله في ابتلاء المكلفين وفتنة المؤمنين

قال تعالى: [الم*أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ] {العنكبوت:2}

إن الابتلاء سنة ربانية جارية ؛ ذلك لأن طبيعة الحياة ، وطبيعة البشر فيها تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء من مصائب وكوارث تصيبه، ومن شدائد تحل بساحته، فكم من حبيب له يموت، وكم من مال يفقده، أو بدن يمرض، إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة، وتجري به سفينة الأقدار.

وإذا كان هذا سنة الله في الحياة عامة ، وفي خلقه كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد الناس تعرضا لشدائد الحياة ونكباتها ومحنها، إنهم يدعون إلى الله عز وجل فيحاربهم جند الطاغوت، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أهل الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أصحاب المنكر، وبهذا يعيشون في دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، فتلك سنة الله تعالى الذي خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، ومحمدا ﷺ وأبا جهل. قال عز من قائل: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا] {الأنعام:112} وقال جل في علاه:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ المُجْرِمِينَ] {الفرقان:31}

هذا هو شأن الأنبياء ، وشأن ورثتهم السائرين على دربهم، والداعين بدعوتهم إلى سبيل ربهم، مع الطغاة الصادين عن سبيل الله، والذين يبغونها عوجا،[وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ] {البروج:8} سئل النبي ﷺ : « أي الناس أشد بلاء ؟ فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى

(1) العراق في أحاديث وآثار الفتن ص 119

الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة.» [1]

والعبد المؤمن لا يُمكَّن حتى يبتلى، وسأل رجل الإمام الشافعي فقال: « أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى ؛ فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة » [2]

(1) أخرجه أحمد في المسند (269/1) والترمذي في سننه برقم (2398) وابن ماجه في سننه (برقم 4023) وإسناده حسن ، انظر: تحقيق شعيب الأرناؤط للمسند (78/3)

(2) الفوائد لابن القيم ص (269)

الفصل الثاني: أسباب وقوع الفتن وأنواعها

إن الله تبارك وتعالى الحكيم العليم الخبير يبتلي عباده بأنواع من الفتن لحكم بالغة يعلمها، وأفعاله سبحانه وتعالى كلها خير وحكمة وهدى، ولا يعتريها عبث ولا نقص مما يصيب أفعال المخلوقين، قال تعالى: [**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**] {الأنبياء:16}

ومن أنواع الفتن والابتلاءات ما يكون على هيئة نعم يبتلى بها الرجل أيشكر أم لا ؟ قال تعالى:

[**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**] {الأنبياء:35}

وكما قال سليمان عليه السلام: [**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**] {النمل:40}

وما من فتنة تقع على الأمة أفرادا أو جماعات إلا لأسباب موضوعية ورد التنصيص على بعضها في الكتاب والسنة .

المبحث الأول : أسباب وقوع الفتن

هناك أسباب متعددة توجب وقوع الفتن، ومعرفة هذه الأسباب من الأهمية بمكان؛ إذ بمعرفتها يستطيع المسلم أن يجعل بينه وبينها وقاية، ومنها:

1. إظهار سنته تعالى في تمييز الخبيث من الطيب، والصادق في دعواه من الكاذب فيها:

قال تعالى: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ] {البقرة:214} وقال تعالى: [الم* **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**] {العنكبوت:2}

2. مخالفة هدى القرآن والسنة: قال تعالى: [**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى**]

{طه: 123-124} قال ابن عباس رضي الله عنهما: « تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.. » [1] وقال تعالى: [**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**] {النور:63}

ومخالفة المنهج الرباني إنما تكون بعدم الاستجابة لله جل شأنه، ولرسوله ﷺ التي أمر بها سبحانه في قوله: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**] {الأنفال:24-25}

وعطفُ الأمر باتقاء الفتنة على الأمر بالاستجابة له سبحانه ولرسوله ﷺ دليل على التلازم بينهما.

فمن أراد السلامة من الفتن فليحرص غاية الحرص على تلك الاستجابة، وإلا وقع في الفتنـــة الـــتي تضل القلب وتعمي البصر.

والمتأمل في واقع الأمة الإسلامية اليوم يدرك بثاقب بصره مدى المخالفة الكبيرة لمنهج الله عز وجل التي وقع فيها كثير من المسلمين، فكانت سببا رئيسا في فتنتهم وتسلط الأعداء عليهم.

3. **ظهور الفساد والمعاصي وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وذلك من أعظم أسباب الفتن التي ابتلي بها المسلمون في أكثر بلدانهم من فساد واضح في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، حتى أصبح الشرك في بعض البلاد توحيدا، والبدعة سنة، والمنكر معروفا، ينشأ على ذلك الصغير، ويموت عليه الكبير، وذلك بلا شك من موجبات الفتن والعقوبات العاجلة، التي تقع في الأمة، والله سبحانه قد يمهل ولا يهمل، قال تعالى: [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ]{الأنعام:44} فهؤلاء بسبب إعراضهم عن منهج الله الذي ذُكّروا به من جهة أنبيائهم وتركهم إياه وراء ظهورهم وقع عليهم من الفتن ما وقع، ومثل هذه الفتن لا يسلم منها إلا من التزم المنهج الرباني ، ولازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: [**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**] {الأعراف:165}

قال السعدي رحمه الله: « وهكذا سنة اللّه في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.» [1]

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (136/7) وابن جرير في تفسيره (225/16)

والحكمة البالغة وراء معاقبة العصاة والمخالفين بالفتن هي زجرهم لكي يراجعوا أنفسهم ويعودوا إلى رشدهم، وإلى الحق من ربهم، كما قال تعالى:[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]{الرُّوم:41} وقال عز وجل:[وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] {السجدة:21}

أما السكوت عن المنكرات المنتشرة في المجتمعات الإسلامية كالتعامل بالربا، والغش، وانتشار الفواحش من الزنا والخمور، وأكل أموال الناس بالباطل، وإلغاء التحاكم إلى شرع الله، وإحلال الظلم مكان العدل فإنه –أعني السكوت عنها– من أبواب الفتن التي إذا فتحت عمت بليتها الخاص والعام، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى:[وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] {الأنفال:25} : « أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بعذاب. »[2] قال الحافظ: « ولهذا الأثر شاهد من حديث عدي بن عميرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة »[3]

المبحث الثاني : أنواع الفتن

من أنواع الفتن فتنٌ تحيط بالمجتمع فتصيب مختلف الشرائح والطبقات ، ويمتد خطرها ليهدد منظومة القيم والأخلاق في المجتمع ، حتى بات يخشى على البعض أن يصدق عليهم قول النبي ﷺ الذي ورد في الحديث الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه:« إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي قالوا فما تأمرنا؟ قال :كونوا أحلاس بيوتكم »[4] ومن أنواع هذه الفتن :

1– ازدياد الشر بمرور الزمن من ذهاب الصالحين وفقد العلماء الربانيين ورفع العلم وظهور البدع .

---

(1) تفسير السعدي عند تفسير هذه الآية.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسير الآية المذكورة، وذكره ابن حجر في الفتح (4/13)

(3) قال الحافظ: «أخرجه أحمد بسند حسن وهو عند أبي داود من حديث العرس بن عميرة وهو أخو عدي ، وله شواهد من حديث حذيفة وجرير وغيرهما عند أحمد وغيره .» (4/13)

(4) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح .

جاء في حديث الزبير بن عدي عندما شكوا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه ما يلقون من الحجاج، قال أنس رضي الله عنه:« ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ [1] .»

وعن الحسن قال :« كانوا يقولون موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار .» [2]

2- كثرة القتل وفشو الفساد بما كسبت أيدي الناس.

جاء في الصحيحين من حديث أنس مرفوعا: « يتقارب الزمان ، ويقبض العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج " قالوا : وما الهرج ؟ قال " القتل » [3]

3- فتنة المال .

إن المال من نعم الله على عباده، فإذا حرص العبد على الكسب الحلال، وعلى ترشيد مصارفه فتكون في الخير، بعيدا الإسراف والتقتير كان ماله خيرا له ونعمة، وإلا كان وبالا عليه وفتنة مضلة.

عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال » [4]

وقال ﷺ :« فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم ». [5]

وتتجلى فتنة المال في صور عدة ، منها :

أ/ أن يشتغل الإنسان بماله ودنياه عن عبادة ربه، ويغفل عن ذكره، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]** {المنافقون:9}

ب/ المكاثرة فيه بحيث لا يقف الإنسان عند حد فهو يطلب المزيد دائماً. قال ﷺ : « لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » [6]

ج/ ومنها قلة التحرز من المكاسب المحرمة التي يحمله عليها حب المال ومجاراة الناس والجهل بما يحل

---

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 1218

(2) صحيح عن الحسن ، ورواه البزار عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا بسند لا يثبت، انظر: (ضعيف الجامع 5894)

(3) تقدم تخريجه قبل قليل.

(4) رواه الإمام أحمد والترمذي بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(5) رواه البخاري برقم (6425) ومسلم برقم (2961)

(6) رواه البخاري برقم (6439) ومسلم برقم (1048)

ويحرم من المكاسب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« ليأتين على الناس زمان ، لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام » [1]

د/ ومنها منع الحقوق الواجبة في المال من الزكاة وغيرها ، وهذا عاقبته وخيمة، قال جل من قائل: **[وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ]** {التوبة:34-35}

4– فتنة الأولاد .

ولا شك أن الأولاد نعمةٌ عظيمةٌ من نعم المولى تبارك وتعالى على عباده، وهذه النعمة العظيمة يجب على الآباء والأمهات أن يستعينوا بها على طاعة الله سبحانه، ولا أن يجعلوها سببا معوقا عنها.

ولن يكون الأولاد عونا لآبائهم وأمهاتهم على القيام بطاعة الله تبارك وتعـــالى إلا إذا تعاهـــدوهم بالتربية الصالحة على منهج الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة.

أما إذا أهملوا تلك التربية، فسوف ينشأ الأولاد نشأة بعيدة عن خلق الإسلام وسمت المسلم الحق، وحينذاك يتحول الأولاد من كونهم نعمة لآبائهم وأمهاتهم إلى نقمة عليهم، وربما تكون تلك النقمة سببا في افتتانهم عن القيام بواجبات الملة ومتطلبات الشريعة، ومن هنا جاء التحذير الإلهي من فتنة الأموال والأولاد في قول الحق سبحانه: [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] {الأنفال:28}

وقوله تعالى: **[إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ]** {التغابن:15}

وفي قوله عز سلطانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ] {التغابن:14}

5 – فتنة الشبهات والشهوات المعاصرة.

بسبب الهجمة الإعلامية الشرسة والخطة الممنهجة التي تنفذها مئات القنوات الإعلامية مدعومة بإسناد صحفي لإفساد منظومة القيم في المجتمع ، بالصور الفاتنة والبرامج المفسدة لمن يهوى التسلية ، والأغنية الهابطة لمن يهوى الاستماع ، والتمثيليات الساقطة التي تزين الفاحشة والعنف والجريمة في النفوس، فالقنوات الفضائية مكنت المفسدين والمفسدات من التسلل إلى بيوت المسلمين دون استئذان ، ثم جاءت شبكات الإنترنت الإباحية لتكمل الدور الذي فات القنوات ، حيث بلغ عدد

---

(1) رواه البخاري برقم (2059) ورقم (2083)

المواقع الإباحية على هذه الشبكة أكثر من ثلاثة ملايين موقع يدخلها أكثر من90% من المستخدمين الشباب.

6 – ومن الفتن التي تهدد المجتمع ، فتنة النساء.

ذلك لأن انجذاب الرجال إلى النساء، وانجذاب النساء إلى الرجال غريزة أودعها الله تبارك وتعـــالى في النفوس البشرية لحكمة عمارة الأرض عن طريق التناسل والتكاثر المباح، وما لم تهـــذب تلـــك الغريزة، وتضبط بميزان الشرع، فسوف تحل الفتنة العظمى والفساد الكبير في الأرض نتيجة الاتصال المحرم الذي ينشأ عنه خراب البيوت، واختلاط المياه، وضياع الأنساب.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » [1]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ».[2]

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن.» [3]

7– فتنة التغريب والعلمنة من خلال :

- ✓ الطعن في الثوابت .
- ✓ خلخلة وحدة المجتمع وانسجامه العقدي والاجتماعي.
- ✓ اتهام العلماء والدعاة بتفريخ الإرهاب .
- ✓ تبجيل الغرب والثناء على المدارس الفكرية الوضعية .

ويتولى كبر بعض ما سبق من الفتن شرذمةٌ يغلفون دعواهم بالإصلاح ، لكنها دعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب." دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها"

8– فتنة التكفير العشوائي، والتي أدت إلى :

- ✓ استحلال دماء الأبرياء التي حرمها الله إلا بالحق .

---

(1) رواه البخاري برقم (5096) ومسلم برقم (2740)

(2) رواه مسلم برقم (2742)

(3) رواه أحمد (420/4) بسند رجاله ثقات.

- ✓ تكفير المجتمع وولاة الأمر وحث العامة على الخروج في الشوارع باسم "مظاهرات سلمية."
- ✓ التفجير والتخريب واستهداف الأنفس والممتلكات .
- ✓ تشويه صورة الإسلام في الغرب وغيره ،مما أعطى أعداء الإسلام ذرائع لاتهام الإسلام بالإرهاب وتبرير ما يرتكبونه من فظائع في ديار المسلمين.
- ✓ إعطاء الذريعة للمتربصين بالدعوة في الداخل الإسلامي لكي يهاجموا العلماء والدعاة والمؤسسات الخيرية والدعوية .
- ✓ إضعاف الأمة بجر الشباب إلى الفتنة وجعلهم وقوداً لتنفيذ مخططات مشبوهة .

9- ومن الفتن التي تهدد المجتمع : فتنة العولمة بسبب الغزو الفكري ، والاستلاب الثقافي الذي أصابت كثيراً من الشباب ، لتصرفهم عن دينهم وتمسيخ هويتهم وانتمائهم الديني .

وتؤكد الدراسات أن ثمة سببين وراء استهداف المسلمين بهذا الغزو ، هما :

أ - ما تملكه بلادهم من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات أخرى.

ب – ما ثبت عبر التاريخ الطويل أن هذه الأمة مستعصية على الهزيمة، إذا حافظت على هويتها الإسلامية، ومن ثم فالطريق الوحيد لإخضاعها يتمثل في القضاء على تفرد شخصيتها وإلغاء دينها الذي يبعث فيها العزة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة .

10- فتنة إحياء الفتن الماضية والاستمرار في اتخاذها أعيادا.

إن من الفتنة العجيبة ما يقوم به بعض المنتسبين للإسلام من بعث الفتن الماضية وإحيائها، وعرضها بأساليب مغرضة مكذوبة مغلوطة، اختلقوها للتأثير على الناس ، واستدرار عواطفهم، وإثارة الأضغان في المجتمع الإسلامي، والحط من قدر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فرضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال عز من قائل: **[وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ]** {التوبة:100}

وإن المرء ليعجب من أقوام أقزام ينالون من سادة أثنى الله عليهم في التوارة والإنجيل والقرآن، وأمرنا بحبهم واتباع سبيلهم، فلا تمر مناسبة إلا وطعنوا فيهم، وغمزوهم ، حتى رتبوا على هذا الطعن مواسم وأعيادا متكررة ابتدعوها للنيل من خيار الناس بعد الأنبياء والمرسلين، و لم يفعلوا مثل ذلك لا في اليهود ولا في النصارى والمجوس، والله تعالى يقول: **[مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ**

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا] {الفتح:29}

ويقول النبي ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. » [1]

ومن خزي هؤلاء وعوارهم أن ألفوا مؤلفات في القديم والحديث شحنوها بالكذب والأغاليط، وكم من فتنة قامت بسبب هذه المؤلفات، وكم من باطل صوروه في صورة الحق، وكم من حق صار باطلا في عرفهم، وكم من سنة صارت بدعة، وبدعة صارت سنة، وإيمان صار كفرا، وكفر صار إيمانا، كل هذا سببه الحقد المكشوف على الصحابة الذين نصروا نبيهم في المنشط والمكره، وصحبوه في السفر والحضر، وفي الرخاء والشدة، يقاتلون عن يمينه وشماله، وبين يديه ومن خلفه، تركوا أهلهم وأوطانهم وأموالهم في سبيل نصرة هذا الدين، فرضي الله عنهم أجمعين من رجال نذروا أنفسهم للدين، وكرسوا حياتهم للدفاع عنه،، إن من يعاديهم بعد الذي قدموه فقد آذى نفسه وما هذا الحقد بضارهم وما هو بناقص قدرهم، ولولا الخطر المحدق الذي قد ينطلي على بعض من يسمع لهم فيفتن ، ولولا رغبة المسلم في الفوز بأجر من يذب عن أصحاب رسول الله ﷺ ما كان هناك من يسطر سطرا واحدا بشأن هؤلاء؛ فإنهم أقل قدرا وأحقر شأنا، وباطلهم أوضح من الشمس، والصحابة والسلف أعظم درجة عند الله من أن يحتاجوا إلى من يرد عنهم ويدافع، بل المتكلم فيهم على خطر داهم :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها **** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

المبحث الثالث : أحوال الناس في الفتن

عند حلول الفتن وتموجها تتباين مواقف الناس وتتضارب توجهاتهم ووجهات نظـــرهم، وتختلـــف أحوالهم، ويمكن تصنيف الناس في الفتن إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: جماعة تشرفت للفتن، فاستشرفتها، وخاضت فيها، واشـــتغلت بالـــدعوة إليهـــا والتحريض عليها، وعملت على إشعال نيرانها وتأجيجها، وهؤلاء قد جرت الإشـــارة إلـــيهم في

(1) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، البخاري برقم (3673) ومسلم برقم (2541)

حديث حذيفة مرفوعا بلفظ « دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» [1]

وهؤلاء برز دورهم في الفتن الأخيرة التي اجتاحت مناطق كثيرة من العالم العـــربي والإســـلامي، والمؤسف أن يتولى دعاة مشاهير الدعوة إلى الفتن، وتسميتها بغير اسمها .

ومن غريب ما سمعته عبر القنوات الفضائية ما تفوه به عالم ذو منصب كبير في "تجمع إسلامي ذي وزن عالمي" حيث قال : إن القتل ليس من الفتنة بدليل قولـــه تعـــالى :[وَالفِتْنَـةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْل] {البقرة:191} فذكر أن الفتنة هي الشرك فقط..! ولست أدري ما قول هذا « العالم» في الأحاديث الصريحة الواردة في تسمية القتال فتنة؟ وهؤلاء في حقيقة أحوالهم إنما هم خوارج استتروا حينا مـــن الدهر وراء أسماء أخرى، لكنهم سرعا ما انكشفوا وكشروا عن أنيابهم عند حلول هذه الفتن.

الطائفة الثانية: قوم اعتزلوا الفتن، ونأوا بأنفسهم عن الخوض فيها قولا أو فعلا، عملا بالأحاديث الكثيرة الواردة في ذلك، كقوله ﷺ : «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خـــير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به»[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: « بينما نَحْنُ جُلُوس عند رسول الله ﷺ، إذ ذَكر الفتنة فقال : إذا رأيتم الناس مرِجت عهودهم،[3] وَخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا – وشبَّك بين أصابه– قال ابن عمرو : فقمت إليه، فقلت : كيف أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك ؟ قال : الزَمْ بيتك، وامْلِكْ عليك لسَانَكَ، وخذ ما تعرف، ودَعْ ما تنكر، وعليك بأمر خاصَّةِ نَفْسِكَ، ودَعْ عَنْكَ أمر العامة». [4]

وكان عددٌ من الصحابة قد اشتهروا باعتزال الناس بعد وقوع الفتن، قال أبو بكر المروذي رحمـــه الله: « سمعت أبا عبد الله – وذكر عنده عبد الله بن مغفل رضي الله عنه– فقال: لم يلتبس بشـــيء من الفتن، وذكر رجل آخر فقال: رحمه الله مات مستورا قبل أن يبتلى بشيء من الدماء.» [5]

---

(1) يأتي تخريجه في ص23

(2) رواه البخاري برقم (7081) ومسلم برقم (2886)

(3) قال ابن الأثير في جامع الأصول: « المرج : الاختلاط والاختلاف، مرجت عهودهم : إذا اختلفت.»

(4) رواه أحمد في المسند (67/11) وأبو داود برقم (4343) والحاكم (525/4) وصححه، ووافقه الذهبي، والألباني في الصحيحة برقم (205)

(5) السنة للإمام أحمد برقم (97)

فهؤلاء آثروا السلامة على الخوض في الفتن بأي وجه من الوجوه، وهذا هو الواجب المتعين حال الفتن، حيث يترك الأمر لأهل الحل والعقد ممن ولاهم الله أمر العامة، فيشتغل العامي بنفسه وفي حماية من يعول من الفتن ما ظهر منها وما بطن..؛ ذلك لأن الفتنة لا تقع إلا في ظرف استثنائي قل من يدرك مخاطره، ويتنبه للواجب المتعين فيه؛ ، لذا قيل: "إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العقلاء من العلماء، وإذا أدبرت عرفها الجميع."

قال البخاري رحمه الله:" باب الفتنة التي تموج كموج البحر، وقال ابن عيينة عن خلف بن حوشب كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن :قال امرؤ القيس:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تكون فَتِيَّةً * تَسْعَى بِزِينَتِهَا لكلّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا * وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ ينكر لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ * مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتقبيل

الطائفة الثالثة: قوم من أهل الحل والعقد، ومن أولي الألباب تحركوا وقت الفتن لأجل الإصـــلاح وإنقاذ ما يمكن إنقاذه عملا بأصل معروف في الشريعة، وهو أن الأفضل في حق المسلم هو مخالطـــة الناس والصبر على إيذائهم ؛ لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن الـــنبي ﷺ قـــال: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخـــالط النـــاس، ولا يصبر على أذاهم»[1].

وبناء على هذا الحديث لا ينبغي للمسلم أن يعتزل محيط الناس وهو يعتقد، أو يغلب على ظنه أن ثمة وسيلة نافعة لإصلاحهم، بوسعه وإمكانه أن يقوم بها إن خالطهم في واقع حياتهم، فإن اعتزلهم وهو يملك القدرة على تلك الوسيلة الإصلاحية فقد فوت على نفسه أجرا عظيما في إخماد نار الفتن.

وهذا هو موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عندما وقعت الفتنة يوم الدار حين خرج السفلة والأغمار على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال ابن عساكر رحمه الله: « لبس ابن عمر الدرع يوم الدار مرتين، فأتى عثمان فقال: صحبتُ رسول الله ﷺ وعرفت له حق الرســـالة، وحق النبوة، وصحبتُ أبا بكر فعرفت له حق الولاية، وصحبتُ عمر فكنت أعرف له حق الوالـــد وحق الولاية، وأنا أعرف لك مثل ذلك، فقال له عثمان: جزاك الله خيرا من أهل البيت، اقعـــد في بيتك حتى يأتيك أمري. » [2]

---

(1) أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (3273) وفي الصحيحة برقم (939)
(2) تاريخ دمشق – ترجمة عثمان رضي الله عنه رقم (399)

فهذا الموقف المناصر للحق المساند لولي الأمر حال الفتنة، هو المتعين في مثل تلك الظروف الحرجة. أما إذا ضربت الفتنة أطنابها في الأرض، واستعصت على الحل، و لم يبق للمسلمين جماعة ولا إمام، وليس أمام المسلم من خيار البتة: إما البقاء في محيط الناس مع تضييع دينه، وإما الفرار من محـــيطهم للمحافظة على الدين وسلامة العقيدة، فإن الاعتزال حينئذ واجب؛ لأن المحافظة على الدين واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ويدل على وجوب الاعتزال في هذه الحال ما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة بـــن اليمـــان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافـــة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخلنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلـــزم جماعـــة المســـلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعـــض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

ومن فقه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طبق هذا الموقف بعد مقتل عثمان واستفحال الأمر، وانفتاح باب الفتن التي تموج كما يموج البحر، فاعتزل رضي الله عنه.

قال الذهبي رحمه الله: « ولما قتل عثمان رضي الله عنه وقامت الفتنة اعتزل ابن عمـــر رضـــي الله عنهما أمر الناس، و لم يكن في جيشٍ أحد من المتقاتلين، بل خرج من المدينة إلى مكة فارًّا بدينـــه، كافًّا يده ولسانه عن المسلمين، آخذاً بأمر النبي ﷺ بالاعتزال وقت الفتن.» [2]

الفصل الثالث: العواصم من الفتن

لقد رسم الإسلام منهجا فريدا للنجاة من الفتن من سلكه سلم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وفي هذا الفصل بمباحثه الثلاثة ألقي ضوءً على معالم هذا المنهج المرسوم.

المبحث الأول : الاعتصام بالكتاب والسنة

إن المؤمن مأمور بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كل حال سواء وقعت فتنة أم لم تقع؛ لأن هذا التمسك صمام أمان ووقاية من الوقوع في الفتن، وإذا وقعت أيضا لا مخرج منها إلا

---

(1) أخرجه البخاري برقم (3606) ومسلم برقم (1845)
(2) سير أعلام النبلاء (224/3)

بالرجوع إلى الكتاب والسنة..

قال تعالى: [**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**] {آل عمران:101}

وقال تعالى بعده: [**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**] {آل عمران:103}

قال ابن كثير رحمه الله: « وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يَسار وغيره: أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلا من اليهود مَرَّ بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هُمْ عليه من الاتفاق والأُلْفَة، فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بُعَاث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يُسكِّنهم ويقول: « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ » وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح، رضي الله عنهم. » [1]

وهذا تطبيق عملي من رسول الله ﷺ في استخدام هدي القرآن والسنة لإخماد نار فتنة كادت أن تقع بوجود من أججها.

وقال ﷺ :« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي » [2]

وهذا نص صريح في أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو سبيل النجاة من الضلال وهو أحد معاني الفتنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه: « إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم .» [3]

وفي حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعا: « إنها ستكون فتنة، قالوا: وما نصنع يا رسول الله، قال: ترجعون إلى أمركم الأول » [4]

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: « فكل أنواع الفتن لا سبيل للتخلص

---

(1) تفسير القرآن العظيم عند تفسير هذه الآية.

(2) رواه ملك في الموطأ بلاغا، والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (2937).

(3) مجموع الفتاوى (310/17)

(4) رواه الطبراني (402/3) والطحاوي في مشكل الآثار (181/3) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (3165)

منها والنجاة منها إلا بالتفقه في كتاب الله وسنة رسولهﷺ ومعرفة منهج سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنه ومن سلك سبيلهم من أئمة الإِسلام ودعاة الهدى.» [1]

المبحث الثاني : تعاون العلماء مع الولاة

إن أهمية التعاون بين العلماء والولاة ترجع إلى كونها في إطار النفع العام،وأي تساهل أو تقاعس عن هذا التعاون يؤدي إلى نتائج سلبية يعود ضررها على الأمة كلها.

ومتى حظي المجتمع بالعالم الرباني الناصح لأمته المطيع لربه في التعاون مع أولياء الأمور لدرء الفتن ترتب على ذلك نتائج وثمار يانعة يجنيها المجتمع أفرادا وجماعات،وفي هذا المبحث ضوء كاشف على بعض ثمار هذا الموضوع الهام:

1. **استتباب الأمن والاستقرار** الذي يعدُّ من العناصر الأساسية التي تستقر عليها الدول ، وتقوم عليها الحضارات ، ولا يمكن أن يتحقق السلام بمفهومه الشامل إلا عندما يتحقق الأمن والاستقرار.
2. **الإسهام في تنمية المجتمع وتطويره**؛ لأن تنمية الحياة المدنية والعمرانية لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن تنمية العنصر البشري، فالتنمية إذا تعلق –فقط– بالبناء والعمران المادي بعيدا عن الإنسان كانت عنصر إفساد وتدمير؛ لذا سوف يظل دور العلماء هو الأبرز في تحقيق مأمول الأمة في التنمية؛ لأن أساس التقدم والرقي قائم على تربية الإنسان وترقيته للوصول به إلى مصافي الأخلاق الفاضلة، وهذا دور العلماء الذي يكتسب فعاليته كلما وجد مساندة من قبل الولاة .
3. **ترسيخ روح التسامح**، وتكريس منهج الوسطية؛ إذ الإسلام وسط بين الغلو والجفاء، ويقابل التوسط والاعتدال الغلو والتساهل.

فظاهرة الإفراط والتفريط في الأوامر والنواهي ، نشأت قديماً ، وهي طبيعة في الإنسان الذي لا يحمل نفسه على منهج الاتباع والاعتدال والوسطية ، ففي التشدد والتساهل أهواء نفسانية ، وطموحات دنياوية ، وجهل بأسس هذا الدين ومقاصده العامة ، وإنما تكثر هذه النوابت عندما يضعف العلم ويقل العلماء .

والمقصود أنه متى قام العلماء بدورهم المنتظر كان من أبرز ثماره تقديم الإسلام في صورته الحقيقية،

---

(1) موقع الشيخ رحمه الله: http://www.binbaz.org.sa/mat/8341

بعيدا عن الغلو والتطرف، وعن التفريط والتساهل.

نعم إنَّ فقد المجتمع العالَمَ الناصح لولي الأمر مصيبةٌ كبيرة، كما أن إعراض الحاكم عن قبول نصيحة العالم مصيبة أخرى، لكن النصيحة يجب أن تكون حسب قواعد الشريعة لا سيما إذا كان من توجه له صاحب سلطان، وإن مما ميَّز منهج أهل السنة والجماعة عن منهج أهل البدعة والفرقة : أن أهل السنة ينصحون لمن ولاَّه الله أمرهم ويكثرون الدعاء له ، حتى ولو رأوا ما يكرهون ، فإنهم يكثرون الدعاء وينصحون نصح من لا يريد جزاء ولا شكوراً إلا من الله، والمناصحة لا تكون علانية على الملأ : قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم رضي الله عنهما : ألم تسمع قول رسول اللهﷺ :« من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْدِه علانية ، ولكن ليأخذ بيده ، ثم ليخلُ به فإن قبل منه فذاك ، وإلا فإنه أدى الذي عليه .» [1]

وقد كان للعلماء الربانيين أثر بالغ في نصح الحكام وتهدئتهم، فيعودون إلى رشدهم، فتندفع بذلك فتن كثيرة: فلما أراد الخليفة المنصور خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن، قال له العالم الرباني جعفر بن محمد رحمه الله: « يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب أبتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر، وقد جعلك الله عز وجل من نسل الذين يعفون ويصفحون، فطفئ غضبه وسكن وقال: لولا هذه النصيحة لأطبقت عليهم.» [2]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: « كنت أقرئ رجالا من المهاجرين ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، فبينما أنا في منزله بمنى ، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها ، إذ رجع إليَّ عبدُ الرحمن فقال : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان ؟ يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ، ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ،

---

(1) رواه أحمد وابن أبي عاصم والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (1096)

(2) رواه ابن ابي الدنيا في الفرج بعد الشدة 76/1، وأبو حاتم في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء 103/1 الشاملة ، وهو في الآداب الشرعية لابن مفلح 248/1

فأمهل حتى تقدم المدينة ، فإنها دار الهجرة والسنة ، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكنا ، فيعي أهل العلم مقالتك ، ويضعونها على مواضعها . فقال عمر : والله – إن شاء الله – لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.» [1]

هذا خبر عظيم يعلّم الواقف عليه طرفا من فقه الصحابة رضوان الله عليهم في التعامل مع الأحداث العظام التي لا تصلح للعوام، وفي أهمية مناصحة من ولاه الله أمرا من أمور المسلمين، فقد ذكر هنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قواعد وتوجيهات غاية في النفاسة، منها:

1. أن لكل مقام مقال ، ومقام تجمهر الناس –كموسم الحج – يختار له الخطاب اللائق؛ فإنه مقام يجمع رعاع الناس وغوغاءهم.

2. أنه غالبا عندما يدلي الأمير بتصريحاته بكون أحرص الناس على الاقتراب منه هم العوام لرغبتهم الشديدة في نشر الأخبار، وهذا شأن معظم رجال الصحافة اليوم حيث ينقلون من الأخبار عبر وسائلهم المختلفة ما لا يصلح للنشر لكونه حاملا في طياته قنابل موقوتة، وفتنا مهلكة، لا يدركون خطورتها، والعواقب الوخيمة المرتبة على نشرها.

3. أن البيئة التي يغلب على أهلها العلم الشرعي والتمسك بالسنة هي أبعد عن التأثر بالفتن المضلة. والمشاهَد في زماننا عكس هذا تماما؛ فإن كثيرا ممن يزعم الإصلاح يتكلم بكل شيء في كل مكان دون تمييز، ودون نظر وفقه لعواقب الأمور، فما يكاد أحدهم يسمع خبرا ولاسيما من الأخبار المتعلقة بمصالح الأمة العليا، وأحوال أولياء الأمور من العلماء والأمراء، إلا وطار به، ينشره في كل واد ومجال متاح: في الإذاعة، أو القنوات الفضائية، أو الإنترنت ، أو عن طريق المجالس الخاصة، دون أدنى تثبت أو نظر في مصلحة نشر مثله، جاهلا أن أعداء الأمة المتربصين يفرحون بمثل هذه الأخبار التي تعكر على صفو المجتمعات الإسلامية.[2]

المبحث الثالث : تبصير الناس بالفتن

إن من الأساليب الوقائية النافعة تبصير الناس بالفتن ومواقعها قبل وقوعها، وتفقيههم على سبل التعامل معها، وذلك بسلوك خطوات في غاية الأهمية، ومنها:

---

(1) رواه البخاري برقم (6830)

(2) انظر هنا للمزيد :الفتنة وموقف المسلم منها ، للدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل،(ص 87)

1. التحذير من الفتن .

ولخطورة الفتن ، فقد حذر الله منها الأمة فقال تعالى: [**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**] {الأنفال:25}

قال ابن كثير رحمه الله :« هذه الآية وإن كان المخاطب بها هم صحابة رسول الله ﷺ لكنها عامة لكل مسلم ، لأن النبي ﷺ كان يحذِّر من الفتن.» (1)

فالنبي ﷺ كان يحذر الأمة من الفتن أشد التحذير ، قال البخاري رحمه الله: « باب ما جاء في قول الله تعالى: [**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**] وما كان ﷺ يحذر من الفتن.» (2)

ومن ذلك ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا وفيه:«.. وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتن فيرقق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول هذه هذه ، فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. » (3)

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تعرض الفتن كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين: على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.» (4).

والمعنى أنه أصبح من وَلَعِهِ بالفتن كالكوز المكبوب على وجهه المنكَّس على فوهته لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرِبَ من هواه .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« تعوذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن.» (5)

---

(1) تفسير القرآن العظيم: في تفسير هذه الآية.

(2) كتاب الفتن – الباب المذكور.

(3) صحيح مسلم برقم (1844)

(4) رواه مسلم برقم (144)

(5) رواه مسلم برقم (2867)

والنصوص الشرعية كثيرة في هذا الباب، وخلاصة الكلام أنه يجب على المسلم أن يكون على حذر من الفتن وموجباتها وأسبابها.

2. حفظ عامة الناس من الشائعات:

من المعلوم أن من المفاسد العظيمة السماح للعوام بسماع الشائعات ، وكثرة القيل والقال، والخوض في المسائل الخاصة المتعلقة بمصير الأمة، كمسائل الإمارة، والحرب والسلم مما يرجع فيه إلى أهل العلم وأهل الخبرة في تقدير مصالح الأمة.

قال تعالى: [**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**] {النساء:83}

فالأخبار والمسائل الخاصة لا يجوز للعامة أن يخوضوا فيها بل تترك لمن يدرك غورها من أهل الفهم والاستنباط، قال ابن كثير رحمه الله : « ويذكر هاهنا حديث عمر بن الخطاب حين بلغه أن رسول الله ﷺ طَلَّق نساءه، فجاءه من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله ﷺ فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ قال: "لا". قال عمر: فقلت: الله أكبر . وذكر الحديث بطوله.

وعند مسلم: فقلت: أطلقتهن؟ فقال: "لا" فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه. ونزلت هذه الآية: [**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر.» [1]

يقول ابن مسعود رضي الله عنه :« ما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.» [2]

يقول الشاطبي رحمه الله مبيناً الضابط في عرض المسائل الشرعية: « وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحّت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدِّ ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها... أما إن لم

---

(1) رواه البخاري برقم (5191) ومسلم برقم (1341)

(2) رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم (5)

يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفقِ المصلحة الشرعية والعقلية.» [1]

3-بسط العدل ورفع الظلم عن الأمة.

إن من مسائل التبصير بالفتن الدعوة إلى إرساء قواعد العدل، باعتباره خير وقاية من الفتن.

والعدل عبارة عن إيصال الحق إلى صاحبه من أقرب الطرق،[2] وهذا التعريف يتضمن ركنين:

الأول: ضرورة إيصال الحق إلى صاحبه، صغيرا كان أم كبيرا، وجيها أم وضيعا، قويا أم ضعيفا، قريبا أم بعيدا.

الثاني: إيصال الحق إلى صاحبه دون تأخير أو مماطلة، بل يلزم الحاكم والقاضي سلوك أقرب سبيل لإيصال الحق إلى مستحقه، ومتى تعددت سبل الإيصال وجب سلوك أقربها.

وأي خلل يعتري هذين الركنين يعني الظلم المنافي للعدل..

هذا: وجاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة دالة على فضل الحكم بالعدل، وحتميته، وعلى النهي عن الظلم صغيره وكبيره، ومن ذلك قوله تعالى: [**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**] {النساء:58}

وهذه الآية الكريمة صريحة في الأمر بإقامة العدل بين الناس :﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ كما أنها صريحة في الثناء على الحاكم بين الناس بالعدل في قوله: ﴿إن الله نعمَّا يعظكم به﴾، فالخير كله في العدل ، والشر كله في مخالفة ذلك.

ومثله قوله تعالى: [**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**] {النحل:90}

ومن ذلك قوله ﷺ : « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه.» [3]

فبدأ بالإمام العادل.

---

(1) الموافقات (4 / 191)

(2) انظر تفسير المنار عند تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ...الآية}

(3) رواه البخاري برقم (6806) ومسلم برقم (1031) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن النبي ﷺ فيما رويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا.» [1]

ولو ذهبنا نتتبع النصوص الواردة في هذا الباب، أو حاولنا حصر التطبيقات الرائعة لمفاهيم العدالة في عصر النبوة والخلفاء لأتينا بالكثير وما وفينا الموضوع حقه.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ :« أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطعت يدها.» [2]

وهذا الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه المضروب به المثل في العدل تقرقر بطنه من الجوع و هو على المنبر يخاطب بطنه قائلا: " قرقري أو لا تقرقري فو الله لا تشبعي حتى يشبع آخر طفل من أطفال المسلمين." [3] وفي ذلك يقول الشاعر:[4]

جوع الخليفة والدنيا بقبضته * في الزهد مترلة سبحان موليها
فمن يباري أبا حفص وسيرته * أو من يحاول للفاروق تشبيها
كذاك أخلاقه كانت وما عُهدت * بعد النبوة أخلاق تحاكيها

ورغم أن العدل أمر فطري يجمع عليه جميع العقلاء بغض النظر عن معتقداتهم وأديانهم، وعاداتهم، وتقاليدهم إلا أنه لا يوجد عدل كامل من جميع الجوانب إلا في رحاب الإسلام ؛ لأن العدل المطلق لا يتحقق، إلا بجعل السيادة لشريعة الله، وبدون ذلك لا يتحقق عدل كامل، ولا يقوم حق، ولا تنهض أمة، ولا تنتصر؛ لأن الحياة الراقية السامية المتصفة بالقيم الأخلاقية والآداب الرفيعة، لا يمكن أن توجد إلا في ظل الإسلام، وما ذاقت الأمة الإسلامية طعم العدل والنهضة إلا في ظل الدولة

---

(1) رواه مسلم برقم (2577) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(2) رواه مسلم برقم (1688)
(3) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي 161 .
(4) هو حافظ إبراهيم وأنشد هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف، بالقاهرة مساء يوم الجمعة 8 فبراير/ سنة 1918م، وتبلغ القصيدة 185 بيتا.

الإسلامية التي أرست قواعد العدل وأعطى كل ذي حق حقه، وهذه الحقيقة شهد لها التاريخ قديما وحديثا، وما تحررت أوروبا من طغيان الكنيسة والإقطاع والمِلْكية المطلقة الظالمة إلا بعد أن تسربت إليها بعض النظم الإسلامية المتعلقة بالقانون، وتحديد مسئوليات الحكام ومحاسبتهم، ونبذ الكهنوت وتقديس الأحبار والرهبان.

وما نزلت الأمة الإسلامية عن تلك المرتبة الرفيعة إلا بجور كثير من الناس وانحرافهم عن تطبيق شريعة الله في الأرض، فأذاقوا الأمة الذل والهزيمة والانحطاط وسيطرة أعدائها المستعمرين، مما أوقع المسلمين تحت نير النظام العلماني الذي قام على فصل الدين عن واقع الحياة. [**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**] {المائدة:50} وعلى هذا يلزم حكام المسلمين وقضاتهم أن يحكموا شرع الله في كل صغيرة وكبيرة من حياة شعوبهم، في الأنفس، والأموال، والدماء، والفروج، وأن يعملوا على رفع الظلم الواقع في الأمة بسبب الإعراض عن التحاكم إلى الشرع، وأن يسمحوا للأمة بالتعبير عن آرائهم تحت سقف الضوابط الشرعية، وذلك من أنفع الأسباب الواقية من الفتن؛ لأن العدل صمام أمان يضمن للدولة القوة والغلبة، وذلك من السنن الربانية ولن تجد لسنة الله تبديلا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة .» [1]

(1) مجموع الفتاوى 63/28.

الفصل الرابع: منهج العلماء الربانيين في التعامل مع الفتن (الإمام أحمد بن حنبل نموذجا)

لقد حدثت في التاريخ الإسلامي على مر الزمن حوادثُ وفتنٌ كادت تعصف بالأمة لولا رحمة الله عز وجل ولطفه، ثم حكمة العلماء الربانيين وسعيهم لترع فتيل الفوضى والدمار بسبب الخلاف والتنافر بين الراعي والرعية، والأمة لا تستغني عن هؤلاء العلماء الربانيين بأي حال من الأحوال؛ إذ بإرشاداتهم يسترشدون، ومن خبرتهم وحكمتهم ينطلقون.. فالعالم الرباني – كما يقول العلماء- هو الذي يربي على صغار المسائل قبل كبارها، وهذا يعني الوصف بالحكمة في أكثر معانيها عمقا، ويضيف إلى هذه الصفة أوصافا أخرى أهمها:

1. الاعتصام بالكتاب والسنة عقيدة وعبادة وسلوكا.
2. الاقتداء بالصحابة في فهم الدين، والعمل به.
3. الابتعاد عن الابتداع في الدين ، أو الإيمان بالخرافات والخزعبلات الملصقة به.
4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن يخاف في سبيله لومة لائم.
5. التزام الحكمة في الدعوة والنصيحة والحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق.
6. ومن صفاتهم أن الله يكتب لهم القبول في الأرض ، فكلمتهم مسموعة ،وأوامرهم مطاعة لدى العامة والخاصة؛ لأنهم لا يأمرون بشيء من عند أنفسهم دون مرجعية الشرع الحنيف.. فوجودهم في أي مجتمع عامل وقاية يكبح جماح المُفرطين، ويشد من أزر الضعفاء والمفرّطين ليلحقوا بركب الساعين إلى الخير والهدى والنور.. ومما لاشك فيه أن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت240هـ) نموذج فريد في هذا الباب حيث جمع بين العلم الشرعي الأصيل، وبين الثبات على الحق، والصبر على الأذى فيه دون التأثر بلومة اللائمين، أو إغراءات أهل الإغراء، إلى جانب العدل التام، والفقه الكامل في إدراك الفروق الدقيقة بين الالتزام بالمنهج، وبين السعي وراء حظوظ النفس والانتقام ممن ألحق به أشد الأذى، فكما أنه رحمه الله لم يكن ليجامل في سبيل دينه وعقيدته أحدا كائنا من كان، فلم يمنعه ذلك من الإقرار بحق ولي الأمر الذي جاء به الشرع؛ لأن ذلك الإقرار جزء من عقيدته ومنهجه رحمه الله،، وإليك أيها القارئ

الكريم طرفا من قصة محنته التي تحولت إلى منحة فخرج منها إماما مطاعا من أكبر أئمة السنة عبر التاريخ، حتى إنك لتطلق عبارة "إمام أهل السنة" فتنصرف إليه تلقائيا، مع كثرة الأئمة.

قال ابن كثير رحمه الله: « ملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السنة أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل، قال البيهقي: و لم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم،[1] فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له... فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ..

فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فتهددهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين: واستمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجنديسابوري، فحملا على بعير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك، وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد ... وفي الطريق جاءهم الخبر بموت المأمون، وأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد،[2] وأن الأمر شديد، فردوهما إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، قال الإمام أحمد:" ونالني منهم أذى كثير، وكان في رجلي القيود" ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان، فأودع في السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهرا، وقيل نيفا وثلاثين شهرا، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم.

وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رجليه.

لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده، قال أحمد:" فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في التكة وحملتها بيدي، ثم جاؤوني بدابة فحملت عليها فكدت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني، فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم، فأدخلت في بيت وأغلق علي وليس عندي

(1) هذه العبارة من البيهقي رحمه الله في غاية الروعة.

(2) رأس الفتنة ومتولي كبرها، الذي حمل الخلفاء على امتحان العلماء، فكان بحق ممن استفتي فأفتى بغير علم فضل وأضل.

سراج، فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه، ثم قمت ولا أعرف القبلة، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة ولله الحمد.» [1]

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول ذهب عقلي مرارا، فكان إذا رفع عني الضرب رجعت إلي نفسي، وإذا استرخيت وسقطت رفع الضرب، فأصابني ذلك مرارا، ورأيته – يعني المعتصم- قاعدا في الشمس بغير مظلة، فسمعته - وقد أفقت – يقول لابن أبي دؤاد: لقد ارتكبتُ إثما في أمر هذا الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنه – والله- كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه، فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد، وقد كان أراد تخليتي من غير ضرب، فلم يدعه.[2]

ثم منَّ الله بخروج الإمام أحمد من السجن فبقي في بيته زمناً طويلاً يعالج من آثار السجن والضرب، فلما شفاه الله خرج إلى الجمعة والجماعة، فلم يمنع من ذلك ، وعاد إلى درسه يحدث ويفتي حتى مات المعتصم، وولي ابنه الواثق، فأظهر القول بخلق القرآن، ومال إلى أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه، وامتحن الناس حتى أمر الإمام أحمد رحمه الله باعتزال الناس، ومنع من صلاة الجمعة والجماعة، ومن الحديث والإفتاء، فاختفى رحمه الله للعبادة والتصنيف مدة حياة الواثق، فلما هلك الواثق وولي المتوكل رفع المحنة ، وأظهر السنة، وفرج عن الناس، وكان أبو عبد الله يحدث في أيام المتوكل، ويقول: ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا. [3]

تلك خلاصة الأحداث والوقائع التي حصلت لهذا الإمام الجليل، الذي امتحن فصبر فرفع الله قدره، وأعلى شأنه، وأثنى عليه أئمة السنة، وأشادوا بفضله، قال أبو عمر بن النحاس: « أحمد بن حنبل رحمه الله في الدين ما كان أبصره، وعن الدنيا ما كان أصبره، وفي الزهد ما كان أخبره، وبالصالحين ما كان ألحقه، وبالماضين ما كان أشبهه، عرضت عليه الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.» [4] وإن المرء ليقف على بعض ما حصل له وإنه ليكاد يتميز من الغيظ، ويمتلكه الغضب والميل إلى الانتقام من هؤلاء الظلمة، ومع ذلك لم يكن الإمام ليحيد قيد أنملة عن منهج السلف في السمع والطاعة في المعروف، وعدم الخروج على ولي الأمر نظرا لما يترتب على ذلك من المآلات السلبية والفتن المهلكة، ولنعرض

---

(1) البداية والنهاية (346/10)
(2) انظر سير أعلام النبلاء (253/11)
(3) السير (265/11)
(4) البداية والنهاية (351/10)

طرفا من تعامله مع الوضع أثناء خلوته الإجبارية حيث منع من التحديث والناس في أمس الحاجة إلى علمه، ومنع من أداء الجمعات والجماعات..

قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله في ولاية الواثق وشاوروه في ترك الرضا بإمرته وسلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم:«عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر» [1] فهدأ الناس وعادوا إلى رشدهم وعلموا أنها فتنة ستزول.

وعن أبي الحارث الصائغ قال : «سألت أبا عبد الله أحمد ابن حنبل في أمر حدث ببغداد وهمَّ قوم بالخروج ، فقلت : يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم ؟ فأنكر ذلك عليهم وجعل يقول : سبحان الله الدماء، الدماء لا أرى ذلك ولا آمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يُسفك فيها الدماء وتستباح فيها الأموال وتنتهك فيها المحارم أما علِمْتَ ما كان الناس فيه – يعني أيام الفتنة – ؟ قال : قلت : والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: وإن كان فإنما هي فتنة خاصة فإذا وقع السيف عمَّت الفتنة وانقطعت السبل، الصبر على هذا خير لك ويسلم لك دينك . قال : ورأيته ينكر الخروج على الأئمة ويقول : الدماء !! ، لا أرى ذلك ولا آمر به.» [2]

وهذا –والله – هو الفقه، فقد قال النبي ﷺ : «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء.» [3]
وقال ﷺ :« لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما.» [4] وقال ﷺ : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمدا.» [5]

---

(1) انظر : السنة للخلال برقم (90) وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (144/1) ترجمة الإمام أحمد، والآداب الشرعية (237/1)

(2) رواه الخلال في السنة برقم (89) وإسناده صحيح.

(3) رواه البخاري برقم (6864) ومسلم برقم (1678) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(4) رواه البخاري برقم (6862)

(5) رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم، والألباني في صحيح الترغيب برقم (2445)

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله.» [1]

إن الأمة متى فقدت قيادات علمية ربانية تأخذ بزمام المبادرة فيهم، أدى ذلك إلى تحول المبادرة إلى العامة والدهماء، والغوغائيين ، الذين لا ينتظر منهم تقدير المآلات، ولا المقارنة بين المصالح والمفاسد.

وهذا ما أدى إلى ظهور هذه الفتن والويلات التي نعيشها في صورة ثورات عارمة غير مدروسة ولا معروفة التوجه، فهي أشبه ما تكون بعربات قطار جنحت عن مسارها ، ودخلت في مناطق السكن الكثيفة، تاركة رأسها وراءها ، فلا يعرف ما تصير إليه الأمور في هذه الأحداث إلا الله عز وجل ، يقول ابن تيمية رحمه الله : « لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته.» [2]

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لابنه: « يا بني احفظ عني ما أوصيك به: إمامٌ عدلٌ خيرٌ من مطرٍ وابلٍ، وأسدٌ حطوم خيرٌ من إمام ظلوم، وإمام ظلومٌ غشوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم.[3]

فالعلماء الربانيون وحدهم هم من يدرك مخاطر الفتن إذا أقبلت، "إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العقلاء من العلماء، وإذا أدبرت عرفها الجميع." فرحم الله الإمام أحمد حنبل ما أنبله من فقيه، وأفقهه من نبيل.

---

(1) رواه البخاري برقم (6863)
(2) منهاج السنة النبوية: 3 / 390
(3) الآداب الشرعية 238/1

الفصل الخامس: الفتن في السنغال

إن المتصفح لصفحات تاريخ منطقة الغرب الإفريقي لا تخفى عليه المكانة المرموقة التي احتلتها بلاد "الصنهاجة" التي أطلق عليها فيما بعد اسم "السنغال" من حيث الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي شهد ترابطا محكما بين الشرق والغرب ، وكانت – ولا زالت– محط رحال الواردين إلى هذه المنطقة .. فعرفت هذه البلاد بإسلامها، ورجالها، وعلاقاتها الإنسانية والتجارية العريضة، واكتسب أهلها بذلك أخلاقا فاضلة، وانفتاحا على العالم مما شجع الناس على السفر إليها قديما، وأحاطت زوارها بالحفاوة الكبيرة التي عرفت بها.

لكن هذه الصورة الناصعة لم تكن المحافظة عليها سهلة ميسورة، فتبدلت الأحوال، وضاعت كثير من المكتسبات، بسبب فتن جارفة تحلق الدين والأخلاق، وفي هذه المباحث حديث وجيز عن تلك الفتن.

المبحث الأول : أهم الفتن في السنغال

1. فتنة التقليد الأعمى. وتأخذ جانبين:

الأول: تقليد الآباء والأجداد.

من الفتن التي ابتلي بها أكثر المسلمين في السنغال فتنة التقليد الأعمى لما كان عليه الأجداد والآباء والمشايخ دون عرض على ما جاء في الكتاب والسنة، والتقليد من الآفات القديمة الواقعة في دنيا الناس على مر العصور، وكر الدهور، قال تعالى: **[وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ]** {الزُّخرف:23}

قال السعدي رحمه الله « وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل.» [1]

وقال تعالى: **[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ]** {المائدة:104}

---

(1) تفسير السعدي عند تفسير الآية المذكورة.

قال ابن كثير رحمه الله: « أي: إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وتَرْك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباءَ والأجداد من الطرائق والمسالك، قال الله تعالى ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ أي: لا يفهمون حقًا، ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه؟ لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم، وأضل سبيلا.» (1)

والتقليد الأعمى عند هؤلاء – وعامتهم من الصوفية — يصل إلى دركات لا يتصورها العقل، حيث إن التابع يكون على أتم الاستعداد لتنفيذ كل ما يطلبه منه المتبوع، حتى لو تعلق الأمر بترك الأوامر واقتراف النواهي الواردة في القرآن والسنة.

الجانب الثاني: التشبه بالكفار.

منذ سنوات خلت وكلما حلت نهاية السنة الميلادية شاهدنا تقاليد لا علاقة لها بالإسلام، ولا بالهوية الإسلامية، وإنما هي من نتائج آفة التشبه بالكفار الذي يجد تربة خصبة في العامة الجاهلة التي لا تميز غثا من سمين مما يفد علينا من عادات وتقاليد لها أصول في ثقافات الآخرين وعقائدهم.

وما إن يحل هذا الموسم المسمى عيد الميلاد ، أو أعياد رأس السنة حتى نشاهد المحال التجارية وقد زينت واجهاتها بما يعرف بشجرة الميلاد، وسحنة الرجل القزم ببذلته الحمراء ولحيته البيضاء.

وتتبادر المخابز إلى إعداد أصناف معلومة من الحلوى بأشكال معينة إحياء لهذه البدعة النصرانية.

وفوق ذلك لم يتورع الكثيرون من اقتراف الموبقات، من الأشربة المحرمة إلى جانب سلوك طريقة الصليبيين برقصها ومجونها، وإشعال الشموع، والألعاب النارية، وهذه الألوان من التقليد الأعمى يعدُّ مؤشرا على عمق التخلف في بلد تصل نسبة المسلمين فيه إلى 97% ،كما أنها تجسد عكس ما يريد الظهور به المقلدون من تحضر مكذوب، وتمدن مقلوب .

والغريب أن معظم هؤلاء المقلدين لا علم لهم بالدلالات الرمزية العقدية لكل مظاهر الاحتفال بما يسمى أعياد الميلاد؛ وكل همهم أن يقلدوا ولا يهمهم ما يقلدون ولماذا يقلدون ؟ ولا يعلمون أنهم أمروا بمخالفة اليهود والنصارى في خصوصياتهم التي منها أعيادهم.

---

(1) تفسير القرآن العظيم، عند تفسير الآية المذكورة.

بل وصل الجهل ببعض المسلمين إلى ابتداع مواليد كمواليد النصارى احتفالا بمولد نبيناﷺ ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: فمن؟ » [1]

هذا: و لم يتوقف قطار التشبه باليهود والنصارى عند تقليدهم في مسألة المواليد والأعياد، لكن القيم السلوكية العامة قد تبدلت في معظم مظاهرها، واستفحل شرها، وتوسعت شررها لدى الجيل الصاعد – جيل الشباب– فأنت الآن حين تنزل لأول وهلة على شارع عام في المدن الكبرى –مثل داكار، وسنت لويس، وكاولاخ– ليمتلكك العجب هل أنت في بلد أوروبي أو في حي آرليم بنيويورك ! كاسيات عاريات، وشباب أطلقوا شعورهم المفتولة منسدلةً في ضفائرها على الأكتاف والصدور، يتخللها لمعان الأقراط المغروزة على شحمة الآذان، وسراويل وملابس وقبعات وأحذية، وأخلاق، وطرائق في الكلام، وأساليب كلها دلائل صارخة على أن هذا الجيل قد فقد هويته الإسلامية بل والإفريقية، إلا من رحم ربي، وما أقلهم؟

والأسباب التي أدت إلى تدهور الأخلاق، وتمزق القيم في مجتمعات شبابنا ترجع إلى:

1) تجذر المخلفات الاستعمارية التي بقيت بعد رحيل ذلك الغول الدخيل بعد قرون عاشها في بلادنا، وعاث فيها فسادا وسرقة وتدميرا للثروات والموروثات الحضارية قبل المادية.

2) الغزو الإعلامي الحديث الذي لبس ثوبا اسمه العولمة، وبث سمومه عبر قنوات فضائية، وشبكات عالمية، وموجات أثيرية، إلى غير هذا من الوسائل الفتاكة، أصابت شبابنا بشلل في الفهم والإدراك، وسرطان في القيم السلوكية، وهم يحسبونها حضارة وتقدما.

2. فتنة التنصير

النصارى لهم جهود جبارة في تنصير إفريقيا عامة وغرب إفربقيا خاصة وذلك أن أهل هذه المنطقة يمثلون أغلبية إسلامية ساحقة، وفي السنغال لا تتجاوز نسبة الصليبيين 2% ، ومن أخطر

---

(1) رواه البخاري برقم (3456) ومسلم برقم (2669)

أنشطتهم ما يقومون به في القطاع التعليمي، حيث يستهدفون أبناء المسلمين في برامج تعليمية خُططت لهم خاصة، وشحنت بمواد تنصيرية ذات تأثير بالغ.

ومن دقتهم في التنظيم والتخطيط أن الرسوم الدراسية في المدن الكبرى تكون باهظة جدا، ثم يخصصون الفائض من تلك الأرباح الخيالية لفتح مدارس في القرى والأرياف مجانية التعليم، فيفرح المغفلون بها لظنهم أنهم يأتونهم بمساعدات من الخارج، والحق أنهم يقومون بتنصير أولادهم بأموال إخوانهم المسلمين..! أما مشاركاتهم في وسائل الإعلام فتكاد تتفوق على البرامج المشابهة في أي دولة أوروبية.

وقل مثل ذلك في المخيمات الطبية والكشفية، والأنشطة الاجتماعية الهادفة إلى تغيير صورتهم لدى المسلم العادي.

وفي مؤتمر "الإسلام في إفريقيا" الذي نظمه معهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة مؤخراً دعا المؤتمرون إلى حماية 365 مليون مسلم من سكان إفريقيا، كما دعا المؤتمر إلى ضرورة تضافر جهود المسلمين عالمياً لعلاج قضايا المسلمين في إفريقيا، لرفع آثار التخلف والفقر عنهم، والتي يستغلها المنصرون في حركاتهم التنصيرية العاملة تحت ستار المساعدات الإنسانية.[1]

3. فتنة العلمنة.

من المعلوم أن معظم الدول الإسلامية إنما تحكم شعوبها بالقوانين الغربية الوضعية، على خلاف يسير بينها في حرفية التطبيق، ومما لاشك فيه أيضا أنه لا بد من وقوع تناقضات وتجاذبات بين الحكام وشعوبهم المسلمة حين تستبعد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة، ويستبدل بها قوانين وضعها البشر ، مخالفة لمبادئ الإسلام، ومقاصده العليا في تشريعاته، لمجتمعات لها هويتها الحضارية، وشخصيتها الثقافية، وتوجهاتها الحياتية.

---

(1) انظر: مجلة المجتمع – العدد 1704 – تاريخ العدد 2006/06/03]

والسنغال من الدول العلمانية التي صاغت من القانون الفرنسي دستورا لها، وتتبنى النظام الديمقراطي الانتخابي، فالأحزاب السياسية في السنغال تخطت حاجز الـــ 150 حزبا.

ولا شك أن حياة اجتماعية قائمة على هذا الخلط من القوانين الهشة، ومن التراكيب المنافية لرغبات الشعب مؤشر على وجود قنابل موقوتة من الفتن ما لم تكن هناك مبادرات علاجية لهذا الوضع الذي يمس عقائد الأمة، وهويتها، وخصوصيتها.

ويمكن حصر مواقع فتن العلمنة في نقاط:

1 - أن الاستمرار في نبذ الكتاب والسنة، وإبعادهما عن واقع حياة المسلم لا يمكن أن يستمر مع وجود السلام والوئام الذي يدعو إليه الراشدون من أولي النهى.

2 - في باب الأحوال الشخصية قضايا عينية تناقض الشريعة الإسلامية وتصطدم بها مباشرة، كما هو الحال في قضية التسوية بين الرجل والمرأة في الميراث، وقضايا كثيرة في النكاح والطلاق.

3 - بسبب اختلاف في مسألة فقهية قانونية حول مشروعية ترشح الرئيس لفترة ثالثة من عدمها كانت البلاد في 23 يونيو الماضي أن تخرج عن هدوئها المعهود؛ إذ حاول الرئيس أن يستخدم أغلبيته البرلمانية الساحقة لتمرير قانون يجيز البقاء على الحكم، فخرجت الأحزاب المعارضة ، والمجتمع المدني، والقوى النقابية، في مظاهرات سرعان ما انضم إليها المجرمون، فحرقت بيوت، ومحلات، وسيارات، ومصالح حكومية، ووقع عدد كبير من الجرحى، وأحاط المتظاهرون بالبرلمان إحاطة الهالة بالقمر والنواب داخله، بل وهددوا بتحريقه إن تم التصويت لصالح هذا المشروع، فتخلى النواب عن التصويت، ولم يتخل الرئيس عن الترشح،، فنُذُر الفتنة مازالت مطلة برأسها.

4 - في مسألة تصوير المرأة للحصول على البطاقة الشخصية وقعت واقعة مؤخرا كادت أن تحرك البلاد وتدفع بها إلى الفتنة، لولا مبادرة بعض الدعاة بإجراءٍ حوَّل هذه القضية من فتنة كادت تعصف بالأمة إلى هدوء وسلام ، وذلك عندما أجبرت المرأة على الكشف عن رأسها للتصوير.

4. فتنة السحر.

إن السحر من الكفر المنافي للإيمان، قال تعالى : ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـــكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة102

إن من المؤسف أن السحر والشعوذة قد ارتبط في أذهان معظم السنغاليين بالمشيخة الصوفية المقدسة لدى عامة الشعب، حيث يلبس الساحر ملابس مشابهة لملابس الشيوخ، ويتعممون بعمائمهم، مما يكسبهم نوعا من احترام العامة، فيتمكنون من سلبهم أعز ما يملكون باسم الدين والعلم الإلهي.

والسحرة في السنغال من الكثرة بحيث يندهش من يتأمل أحوالهم ؛ إذ لا يوجد من يحمي العوام من حبائلهم وحيلهم، بل إن كبار القوم من الساسة ومن يسمون الزعماء التقليديين من شيوخ الطرق وشيوخ القبائل صار معظمهم من متعاطيه ، وفي السنوات الأخيرة أصبح للسحر السنغالي بعدٌ داخلي مكثف، محاط بحرية مطلقة في الترويج لبضاعتهم الخبيثة، من إعلانات ودعايات في مختلفة وسائل الإعلام، واستضافات في القنوات المرئية والمسموعة.

وبعدٌ خارجي حيث إن هؤلاء المشعوذين يتصلون عشوائيا بالأرقام الهاتفية الخليجية ، ويتحايلون على أهلها لسلبهم أموالهم، وأصبح اسم السنغال في كل دول الخليج ملتصقا بهذه العمليات الوضيعة.[1]

(1) اقرأ للمزيد المقالة الواردة في هذا الموقع: www.drmalo.com/spip.php?article343

المبحث الثاني : كيفية تعامل المسلمين مع الفتن

تختلف وجهات نظر المسلمين في تحليل الفتن ورسم الخطوات الهادفة إلى تحجيم الفتن أو القضاء عليها نهائيا ، والمقصود هنا خواص طلبة العلم، والعاملون في حقل الدعوة إلى الله، سواء كانوا أفرادا أم جماعات ومؤسسات دعوية، أما الشرذمة المعروفة بالتطرف والتشدد، ويغلب طابع العنف والتصادم على معالجاتهم، فإن منهجهم لا يعنينا في هذا البحث؛ إذ ثبت فشله في كل مكان.

هذا: وينقسم سردنا الموجز لأنماط تعامل المسلمين الواعين مع الفتن في السنغال إلى نمطين: نمط يتسم بالشمولية والإجمال ولا يختص بفتنة دون أخرى، ونمط آخر يستلزم الوقوف مع كل فتنة للحديث عن واقع التعامل معها.

أولا: يتعامل أهل السنة الواعين مع الفتن في السنغال إجمالا بعدة طرق بعضها وقائية وبعضها علاجية، ومن ذلك:

1. تكثيف الجهود الدعوية وتفعيلها من خلال إقامة مؤسسات دعوية من مساجد، وجمعيات دعوية، وإحياء حلقات العلم في المساجد.
2. إقامة مؤسسات تعليمية من مدارس التحفيظ، إلى المراحل اللاحقة حتى الجامعية، مع رسم مناهج علمية مستقاة من أرقى الجامعات الإسلامية في العالم، وإضافة المتطلبات المحلية إليها.
3. إقامة دورات تكوينية، الهدف منها تحسين الأداء سواء منها تلك التي أقيمت لأئمة المساجد وخطبائها، أم التي أقيم للمعلمين والمربين.
4. دورات توعوية هدفها تزويد الدعاة بما لا يسعهم جهله من رصيد الفقه بالعلوم الشرعية، وبواقع الأمة، وما يحاك لها من كيد ومكر، وكشف مخططات الأعضاء المتربصين الذين قد لا يدرك كثير من الدعاة حقيقتهم لشدة الغبش والغيوم التي تلبسوا بها.
5. توعية المجتمع بأمور الدين من خلال ربط المشاريع الخيرية الموسمية ببرامج تهدف إلى نشر الوعي الديني ، كبرنامج "فقه التمييز بين النافع والضار" وبرنامج "اعرف عدوك" وبرنامج "كيف تعظم الوحي"

ثانيا: كيفية تعامل المسلمين مع الفتن حسب وقوعها، وطبيعة كل فتنة.

1. أما بالنسبة لفتنة التقليد فقد تم رسم برنامج دراسي في حلقات المساجد وخطب الجمعة باعتبار

المسجد مدرسة لكافة شرائح المجتمع من الرجال والنساء والصغار والكبار، الهدف من هذا البرنامج: إعادة المسلم إلى مصادر الإسلام الأصيلة، وتفقيهه بأن الدين إنما يتلقى من الوحي، وأن الرجال مهما بلغوا من العلم فإنهم ليسوا معصومين، وإنما العصمة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

2. وأما بالنسبة للتنصير فقد أقام المسلمون الدعاة في غضون خمس سنين ما لا يقل عن عشرين قافلة دعوية القصد منها توعية سكان القرى والبوادي بكيد النصارى، وما يريدونه لأولادهم، وفلذات أكبادهم، وكانت الثمار طيبة ؛ فإن هؤلاء السكان أصبح معظمهم يتلقى المساعدات من المنصرين ثم لا يستجيبون لهم، وفوق ذلك فقد شهدت الفترة الأخيرة توافد النصارى على اعتناق الإسلام بشكل لافت للنظر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ الأنفال36

3. وأما بالنسبة للعلمنة فقد قام المسلمون بخطوة عدت حكيمة عندما تم إعداد مدونة قانون للأحوال الشخصية شارك فيها نخبة من علماء الشريعة، تحتوي على ديباجة توضح أهمية هذه الخطوة وأنه بدونها قد تنجرف البلاد إلى فتن نحن في غنى عنها،وتضمنت المدونة كلما له صلة بالنكاح ، والطلاق، وشأن الميراث، وهي الآن في عهدة السلطات المعنية.

وعندما أجبرت البنات على كشف رؤوسهن من أجل التصوير الفوتوغرافي للحصول على البطاقة، عزمت طوائف من الجماعات الإسلامية على القيام بمظاهرات مطالبة بالحقوق، لكن أهل الرأي والمشورة اتفقوا على رفع خطاب إلى وزير الداخلية أولا للاستفسار عن مصدر هذا القرار، ولتنبيهه ثانيا على المخاطر التي يمكن أن تقع في حال التمادي عليه،، وبعد استقباله الوفد واطلاعه على الخطاب نفى أن يكون عنده أي علم بهذا، ثم حرر تعميما عاجلا سلم للوفد نسخة منه، نص فيه على أن للمرأة أن تغطي رأسها، ما دامت تكشف عن وجهها، فحمدت نيران هذه الفتنة ولله الحمد والمنة.

4.وأما بخصوص السحر فقد تم تكثيف البرامج الإذاعية التوعوية المضادة، والمحاضرات الجماهيرية، وإصدار أشرطة تبين مخاطر السحر والشعوذة، غير أن هذه المسألة من المسائل المعقدة ولا زالت أضرارها تخلف ضحايا ، وزاد من صعوبتها ووعورة ميدان معالجتها بوجود زبائن عالميين يغدقون الأموال على هؤلاء السحرة ، وقد جرت لي قصة طريفة مع أحد هؤلاء الزبائن لا يسع المجال لذكرها هنا، وأكتفي بإحالة القارئ إلى الموقع الذي سبقت الإشارة إليه.

المبحث الثالث: المد الشيعي في السنغال والموقف منه

أولا: تاريخ دخول الشيعة في السنغال: تعد بداية ظهور الشيعة في السنغال من سنة1969م بوصول المدعو عبد المنعم الزين اللبناني، الذي جاء إلى السنغال موفدا من المجلس الشيعي الأعلى في لبنان من طرف موسى الصدر.

يقول هذا الرجل عن نفسه: « ومما ادخرته ليوم الجزاء ما منّ به الله تعالى علي أوائل عملي من اقتناع بعض الشباب من أبناء السنغال بطريقة أهل البيت عليهم السلام، فأعلنوا ولاءهم للنبي وآله » [1]

ثانيا: نشاطهم التعليمي والدعوي: قال عبد المنعم: « كما وفقنا الله تعالى لفتح مدارس دينية نيفت على مائة وعشرين مدرسة، تضم ما يزيد على تسعة آلاف طالب وطالبة، ثم تحلق الآباء حول أبنائهم حتى ناهز عدد الموالين لآل بيت النبي ﷺ قرابة مائة وستين ألفا من مختلف الأعمار والمناطق والمستويات العلمية والاجتماعية والوظائف والمهن» [2]

ولا شك أن هذه الأرقام الأسطورية تمثل إحدى الأكذوبات المدونة في ذلك الكتاب من قبيل قوله في المقدمة :إن النبي ﷺ قال: « إن المهدي إذا خرج سيكون من أتباعه رجل من أهل داكار.!»

وجدير بالذكر أن هذا الرجل كان يمثل الشيعة لبنانيين وإيرانيين إلى وقت قريب حيث حصل توتر في التحالف القديم بين حركة الأمل، وحزب الله الموالي لإيران، فأثر ذلك على علاقة عبد المنعم بإيران ، فقُطع عنه الدعم الإيراني، واستبدل به الشاب السنغالي الموريتاني محمد علي حيدر الذي تمكن من تفعيل النشاط الشيعي على نحو غير مسبوق في مجال المشاريع التعليمية، والثقافية، والتنموية، والتكوينية، كلها تحت رعاية مؤسسته التي أطلق عليها اسم "المزدهر"[3]

وهناك أنشطة لهم دون ما ذكرته هنا، لكن جاء التركيز على ما ذكرته منها؛ لأنها تأتي على رأس القائمة من حيث القوة والخطورة، ويتبين ذلك من خلال الملاحظات التالية:

---

(1) عبد المنعم الزين، مذهب آل البيت (ص9)

(2) نفس المصدر.

(3) انظر الملحق رقم (1) ص(55)

1. إن الأرقام المذكورة تخص النشاط الإيراني عن طريق محمد علي حيدر، وأما الجالية اللبنانية فقد أصبح نشاطهم معزولا عن الأنشطة الإيرانية ، ويأتيهم الدعم من أخماس التجار من الجالية اللبنانية التي تبلغ نحو مائة ألف نسمة في السنغال.

2. إن مما سهل أمر دخول الرافضة إلى عمق السنغال استغلالهم للعلاقات الاقتصادية مع الحكومة السنغالية، وتمكنهم من خداع الزعامات الصوفية وبعض الجماعات الدعوية، ولو لفترة محدودة.

3. بدأوا مؤخرا في إنشاء مؤسسات التعليم الجامعي المحلي باعتبارها أقل تكلفة من المنح الدراسة التي تقتضي السفر إلى قم أو إلى لبنان، ولأن مخرجات هذه المؤسسات المحلية تكون وثيقة الصلة بالمجتمع قريبة من الممارسات اليومية فيكون تأثيرها بالتالي أقوى.

4. المزرعة في عرف هؤلاء عبارة عن حقول للفواكه، والخضروات، والدواجن، تتبعها بئر ارتوازية تسقي مجموعة من القرى المحتاجة، كما يتبعها مسجد ومدرسة لأبناء أهل القرية، وداعية تم تدريبه في أحد المراكز المحلية أو في لبنان أو إيران، تدر عليه المزرعة بما يحتاج إليه، ويقوم هو بتشييع القرية وما جاورها من القرى.

5. يعد المركز الثقافي الإيراني في داكار، من أخطر أوكارهم بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين السنغال وإيران؛ إذ لا زال العلم الإيراني يرفرف فوقه، وبعض الدبلوماسيين قد تم تحويلهم إليه، وهذا المركز يستهدف الشباب حيث يفتح أبوابه يوميا لاستقبالهم بترحاب وحفاوة مصطنعة، يوزعون عليهم الكتب والمنشورات الشيعية، والأقراص المسموعة والمرئية بعد ترجمتها، كما يوزعون عليهم الشاي والمشروبات الباردة، وبلغني أن عدد من دخل في نحلتهم بسبب هذا المركز منذ افتتاحه عام 2007م لا يقل عن 30 شابا.

6. أما القسم الفارسي في جامعة داكار فقد كان قفزة نوعية غير مسبوقة، حيث إن هذا القسم يشكل فتنة للشباب الجامعي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فرغم أنه آخر قسم من أقسام اللغات والحضارات الشرقية إلا أنه أصبح الأقوى في الشكل والمضمون، لقوة أدائه، ولضخامة الميزانية المرصودة له.. فبينما نجد أن الأقسام الصيني والياباني وحتى الإنجليزي عبارة عن غرف متوسطة الأحجام، وأن القسم العربي يتكون من عدة غرف نجد أن الحكومة الإيرانية تقدمت

بطلب رسمي للحصول على أرض داخل الجامعة الحكومية لتقوم بإنشاء قسمها عليها، فوافقت الحكومة السنغالية على ذلك فقام هذا القسم على أرض مساحتها 12 000م 2 [1]

ويلعب هذا القسم دورا محوريا في جذب طلاب الجامعة [2] حيث يقدم لهم أنواعا من الحوافز، فيوزع على المنتسبين إلى القسم الكتب الفارسية مجانا، كما يسمح لهم بدخول المكتبة في أي وقت، وزيادة على ذلك يقدم "للمتميزين" منهم إجازة مدفوعة التكاليف لمدة شهر في إيران، ولا تسأل عن مغريات تلك الإجازة! كما يمنح الحاصلين على الإجازة العالية فرصة لمواصلة الدراسات في إيران، ، وهذا النوع من الحوافز لا يوجد لأي قسم في هذه الجامعة،على الإطلاق.

ثالثا: موقف الدعاة من نشاط الرافضة:

دعاة أهل السنة لهم نشاط مبارك في التصدي لهذا الغزو الرافضي، ويمكن تلخيصه إجمالا في أربعة محاور قابلة للتطبيق في كل مكان لمحاصرة المد الرافضي:

1 - التحصين الداخلي، ويكون بنشر الإسلام الصحيح المصفى من الشوائب.

2 - التوعية، وتهدف إلى تنبيه عامة الشعب إلى خطورة الرافضة على الأمن والاستقرار.

3 - التصحيح التاريخي، ويكون ببيان ما ثبت من العلاقات الحميمة بين الآل والأصحاب.

4 - مواجهة الشبهة بالحجة والبرهان، من خلال اللقاءات والمناظرات معهم.

وأما تفصيلا فيوضحه الجدول البياني الوارد في الملاحق. [3]

---

(1) انظر صورة المبنى في الملحق رقم (2) ص (56)

(2) وهذه الجامعة فيها أكثر من 70 طالب وطالبة من كل الجنسيات الإفريقية تقريبا، بل وحتى بعض الجنسيات الأوروبية .

(3) انظر الملحق رقم (3) ص (57)

الخاتمة

1-نظرا لكون لفظ الفتنة يصدق على الابتلاء في الخير والشر فإن أوجز تعريف للفتنة هو:**شدائد الدنيا ونعمها العامة والخاصة التي يجريها الله على عباده على وجه الحكمة ابتلاء وامتحانا.**

2- إن كثرة دوران لفظ الفتنة في القرآن والسنة، وتعدد الدلالات والسياقات التي شملها هذا اللفظ دليل على أهمية معرفة الفتنة ، وضرورة العناية بأمرها، والحذر من أسبابها، والدعوة إلى تجنب موجباتها.

3- إن دواوين السنة المطهرة قد حفلت بالأخبار الكثيرة عن حدوث الفتن في واقع الأمة ولا محالة، وبما أن الفتن المذكورة في هذه الأحاديث أمور غيبية، فإن الحديث عنها حديث عن موضوع متعدد الجوانب، متشعب الاتجاهات، لا يمكن لأي باحث أن يلم شعثه.

إلى جانب الخطورة في قضية تكييف تلك الأخبار النبوية على واقع الحال ؛ لأن ذلك التكييف قـــد يكون سببا في طيش الأقلام وجنوح الأفهام، مما يوجب الحذر غاية الحذر في طرح هذا الموضـــوع والتعامل معه، ما لم يكن العمل جاريا وفق منهج علمي رصين.

وقد ضرب الباحث هنا مثالا يحسن الرجوع إليه.

4-إن العبد المؤمن لا يُمكَّن حتى يبتلى، قال الشافعي:«... إن الله ابتلى نوحا وإبراهيم، وموســـى وعيسى، ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلـــص من الألم البتة.»

5-إن من المهم أن ندرك أنه ما من فتنة تقع على الأمة أفرادا أو جماعات إلا لأسباب موضوعية ورد التنصيص على بعضها في الكتاب والسنة ، كما أن النظر في أسباب الفتن على كثرتها لمعرفتها والإحاطة بما تيسر منها من الأهمية بمكان؛ إذ بمعرفتها يستطيع المسلم أن يجعل بينه وبينها وقاية.

6- قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**] {الأنفال:24-25}

وعطفُ الأمر باتقاء الفتنة على الأمر بالاستجابة له سبحانه ولرسوله ﷺ دليل على التلازم بينهما.

فمن أراد السلامة من الفتن فليحرص غاية الحرص على تلك الاستجابة، وإلا وقع في الفتنة التي تضل القلب وتعمي البصر.

7- إن السكوت عن المنكرات المنتشرة في المجتمعات الإسلامية كالتعامل بالربا، والغش، وانتشار الفواحش من الزنا والخمور، وأكل أموال الناس بالباطل، وإلغاء التحاكم إلى شرع الله، وإحلال الظلم مكان العدل فإنه من أبواب الفتن التي إذا فتحت عمت بليتها الخاص والعام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: « أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بعذاب. »

8- إن من الفتن العجيبة ما يقوم به بعض المنتسبين للإسلام من بعث الفتن الماضية وإحيائها، وعرضها بأساليب مغرضة مكذوبة مغلوطة، اختلقوها للتأثير على الناس ، واستدرار عواطفهم، وإثارة الأضغان في المجتمع الإسلامي، والحط من قدر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

9- الناس في وقت الفتن ثلاث طوائف: **منهم** جماعة تشرفت للفتن، فاستشرفتها، وخاضت فيها، واشتغلت بالدعوة إليها والتحريض عليها، وعملت على إشعال نيرانها وتأجيجها، وهؤلاء قد جرت الإشارة إليهم في حديث حذيفة مرفوعا بلفظ « دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» **ومنهم** قوم اعتزلوا الفتن، ونأوا بأنفسهم عن الخوض فيها قولا أو فعلا، عملا بالأحاديث الكثيرة الواردة في ذلك.**ومنهم** طائفة من أهل الحل والعقد، ومن أولي الألباب تحركوا وقت الفتن لأجل الإصلاح وإنقاذ ما يمكن إنقاذه عملا بأصل معروف في الشريعة، وهو أن من غلب على ظنه أن ثمة وسيلة نافعة لإصلاحهم، وبوسعه وإمكانه أن يقوم بها ، فإن اعتزلهم وهو يملك القدرة على تلك الوسيلة الإصلاحية فقد فوت على نفسه أجرا عظيما في إخماد نار الفتن.

10- إن أهمية التعاون بين العلماء والولاة ترجع إلى كونها في إطار النفع العام،وأي تساهل أو تقاعس عن هذا التعاون يؤدي إلى نتائج سلبية يعود ضررها على الأمة كلها.
ومتى حظي المجتمع بالعالم الرباني الناصح لأمته المتعاون مع أولياء الأمور لدرء الفتن ترتب على ذلك نتائج وثمار يجنيها المجتمع أفرادا وجماعات،ومنها على سبيل المثال:

1 استتباب الأمن والاستقرار

2 الإسهام في تنمية المجتمع وتطويره.

3- ترسيخ روح التسامح، والبعد عن الغلو.

نعم إنَّ فقد المجتمع العالَمَ الناصح لولي الأمر مصيبةٌ كبيرة، كما أن إعراض الحاكم عن قبول نصيحة العالم مصيبة أخرى، لكن النصيحة يجب أن تكون حسب قواعد الشريعة لا سيما إذا كان من توجه له صاحب سلطان، وإن مما ميَّز منهج أهل السنة والجماعة عن منهج أهل البدعة والفرقة : أن أهل السنة ينصحون لمن ولاَّه الله أمرهم ويكثرون الدعاء له ، حتى ولو رأوا ما يكرهون .

11- إن من مسائل التبصير بالفتن الدعوة إلى إرساء قواعد العدل، باعتباره خير وقاية من الفتن.

والعدل عبارة عن إيصال الحق إلى صاحبه من أقرب الطرق، وهذا التعريف يتضمن ركنين: الأول: ضرورة إيصال الحق إلى صاحبه، صغيرا كان أم كبيرا، وجيها أم وضيعا، قويا أم ضعيفا، قريبا أم بعيدا.

الثاني: إيصال الحق إلى صاحبه دون تأخير أو مماطلة، بل يلزم الحاكم والقاضي سلوك أقرب سبيل لإيصال الحق إلى مستحقه، ومتى تعددت سبل الإيصال وجب سلوك أقربها.

وأي خلل يعتري هذين الركنين يعني الظلم المنافي للعدل..

12- لقد حدثت في التاريخ الإسلامي على مر الزمن حوادثُ وفتنٌ كادت تعصف بالأمة لولا رحمة الله عز وجل ولطفه، ثم حكمة العلماء الربانيين وسعيهم لترع فتيل الفوضى والدمار بسبب الخلاف والتنافر بين الراعي والرعية، والأمة لا تستغني عن هؤلاء العلماء الربانيين بأي حال من الأحوال؛ إذ بإرشاداتهم يسترشدون، ومن خبرتهم وحكمتهم ينطلقون..

ومما لاشك فيه أن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت240هـ) كان نموذجا فريدا في هذا الباب حيث جمع بين العلم الشرعي الأصيل، وبين الثبات على الحق، والصبر على الأذى فيه دون التأثر بلومة اللائمين، أو إغراءات أهل الإغراء، إلى جانب العدل التام، والفقه الكامل في إدراك الفروق الدقيقة بين الالتزام بالمنهج، وبين السعي وراء حظوظ النفس والانتقام ممن ألحق به أشد الأذى، فكما أنه رحمه الله لم يكن ليجامل في سبيل دينه وعقيدته أحدا كائنا من كان، فلم يمنعه ذلك من الإقرار بحق ولي الأمر الذي جاء به الشرع؛ لأن ذلك الإقرار جزء من عقيدته ومنهجه رحمه الله، ما أنبله من فقيه، وما أفقهه من نبيل.

13- إن افتقار الأمة إلى قيادات علمية من هذا الصنف تأخذ بزمام المبادرة فيهم، هو الذي أدى إلى تحول المبادرة إلى العامة والدهماء، والغوغائيين ، الذين لا ينتظر منهم تقدير المآلات، ولا المقارنة بين المصالح والمفاسد.

فظهرت هذه الفتن والويلات التي نعيشها في صورة ثورات عارمة غير مدروسة ولا معروفة التوجه. يقول ابن تيمية رحمه الله : « لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته.»

14- إن المتصفح لصفحات تاريخ منطقة الغرب الإفريقي لا تخفى عليه المكانة المرموقة التي احتلتها بلاد "الصنهاجة" التي أطلق عليها فيما بعد اسم "السنغال" من حيث الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي شهد ترابطا محكما بين الشرق والغرب ، وكانت - ولا زالت- محط رحال الواردين إلى هذه المنطقة .. فعرفت هذه البلاد بإسلامها، ورجالها، وعلاقاتها الإنسانية والتجارية العريضة، واكتسب أهلها بذلك أخلاقا فاضلة، وانفتاحا على العالم مما شجع الناس على السفر إليها قديما، وأحاطت زوارها بالحفاوة الكبيرة التي عرفت بها.

لكن هذه الصورة الناصعة لم تكن المحافظة عليها سهلة ميسورة، فتبدلت الأحوال، وضاعت كثير من المكتسبات، بسبب فتن جارفة تحلق الدين والأخلاق، ومن هذه الفتن:

1 فتنة التقليد الأعمى للآباء والمشايخ.

2 فتنة التنصير. 2- فتنة العلمنة. 3- فتنة السحر. 4- فتنة المد الشيعي.

14- إن دعاة أهل السنة لهم نشاط مبارك في التصدي للغزو الرافضي، ويمكن تلخيصه إجمالا في أربعة محاور قابلة للتطبيق في كل مكان لمحاصرة المد الرافضي:

1) التحصين الداخلي، ويكون بنشر الإسلام الصحيح المصفى من الشوائب.

2) التوعية، وتهدف إلى تنبيه عامة الشعب إلى خطورة الرافضة على الأمن والاستقرار.

3) التصحيح التاريخي، ويكون ببيان ما ثبت من العلاقات الحميمة بين الآل والأصحاب.

4) مواجهة الشبهة بالحجة والبرهان، من خلال اللقاءات والمناظرات معهم.

التوصيات

لا ريب أن لجنة الدعوة في إفريقيا قد قامت خلال العقدين الماضيين بجهود عملية ناجحة في القارة الإفريقية، كانت من نعم الله الكبرى على هذه القارة.. ورغبة في استمرارية هذه الجهود المثمـــرة أتقدم بهذه التوصيات المتواضعة لعل الله أن يجعل فيها ما يحقق الآمال:

1. يوصي الباحث بضرورة الاستمرار في عقد الملتقيات في الأماكن الثلاثة كما هو الآن.
2. ويوصي كذلك بالاستمرار في دعم الملتقيات المحلية في إفريقيا، مـــع الســـماح للمنســـقين بالمشاركة في اختيار الموضوعات، ويرى أن من الممكن التعدد في الموضوعات بعـــد أن تم عقد ملتقيين عن الشيعة.
3. ويوصي بأن تتبنى لجنة الدعوة في إفريقيا واحدا على الأقل من المشاريع الكبيرة التي يســـعى اتحاد علماء إفريقيا لإنجازها في الخطة الخمسية الحالية، ويا ليتها تتبنى القناة الفضائية.
4. رغم الأهمية التي تحظى بها المشاريع الموسمية إلا أن المشاريع الثابتة أكثر نفعا علـــى المـــدى البعيد، وبناء على ذلك أتمنى أن أرى اللجنة تتوجه نحو إنشاء المؤسسات التعليمية التابعة لها في إفريقيا، فلتكن في البداية جامعة واحدة قوية يفد إليها الطلاب من كل الدول المجـــاورة، وللعلم فإن الكلية الإفريقية تمثل خطوة في هذا الاتجاه لكن قلة الموارد المادية أثرت سلبا على أدائها المأمول.
5. يوصي الباحث كذلك بالاهتمام أكثر بترجمة المواد البصرية والسمعية الكاشـــفة لحقيقـــة الرافضة إلى اللغات العالمية والمحلية، فإن فائدتها معلومة مضمونة، وتصل إلى أشخاص يصعب دعوتها للملتقيات والمحاضرات العامة.

هذا: وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفق القائمين على لجنـــة الـــدعوة في إفريقيـــا، ويسدد خطاهم، وعلى رأسهم سمو الأمير، جزاهم الله خيرا، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الملاحق

أشهر المناطق التي تشهد نشاطا مؤسسيا متنوعا للرافضة [1]

الموقع	مؤسسات تعليمية	مزارع خيرية	مراكز ثقافية أو أقسام جامعية	آبار إرتوازية
داكار	31	×	2	×
كازاماس	9	25	1	4
كاولاخ	5	11	×	2
انجاسان	1	1	×	1
إقليم تياس	4	3	×	2
دار جلف	7	4	×	3
دار الهجرة	8	30	×	12
المجموع	64	74	2	24

الملحق (1)

(1) هذه الإحصاءات معظمها من مجلة المزدهر التي تصدر عن المؤسسة في عددها (23) أغسطس 2010م

القسم الفارسي في قلب جامعة داكار الحكومية

الملحق (2)

جدول بياني لنشاط أهل السنة في مكافحة المد الشيعي في السنغال

نوع النشاط	عدد المرات	عدد المستفيدين تقريبا	الملاحظات
الدورات التوعوية	8	1 000	بين 2006-2011م
توزيع كتب تفضحهم	1500 نسخة	800	وزعت بعد ترجمتها
ترجمة وتوزيع قرص جرائم الرافضة	10 000	أكثر من عدد النسخ	أقفلت مدارس بسببها
مسابقات هادفة	3	25 000 متسابق	من لجنة الدعوة
تنبيه المتصوفة إلى خطرهم	متعدد	عدد لا يحصى	له ثمار واضحة
تنبيه الحكومة إلى حقيقتهم	1	الرئاسة والداخلية	أدى إلى قطع العلاقة
مناظرات مرئية ومسموعة	متعددة	عدد لا يحصى	رجع الكثير بسببها
محاولة تحسين أوضاع الفقراء	إنشاء صندوق للزكاة	450 فقيرا	بين 2009-2010

الملحق رقم (3)

فهرس المراجع

1 البداية والنهاية/ لابن كثير/ بيروت /دار الكتب العلمية/ ط6
2 تاج العروس من جواهر القاموس/ لمحمد مرتضى الزبيدي/ بيروت/ مكتبة دار الحياة.
3 تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير / الرياض/ مكتبة المعارف/ ط 1.
4 تيسير الكريم المنان/ عبد الرحمن السعدي/ بيروت/مؤسسة الرسالة/ط1/1421هـ
5 جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري/مصر /شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / الطبعة 3 1388هـ.
6 الجامع لأخلاق الراوي والسامع/ للخطيب البغدادي/دار الكتب العلمية/ بيروت.
7 ديوان أعشى همدان / بيروت/ مكتبة الخانجي.
8 سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد القزويني / بيروت /دار الفكر/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
9 سنن أبي داود/ للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني/ بيروت /دار الفكر/تحقيق: محي الدين عبد الحميد.
10 -سنن الترمذي/ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي/ بيروت /دار الفكر/ تحقيق: أحمد شاكر.
11 -سلسلة الأحاديث الصحيحة/ للألباني/ الرياض /مكتبة المعارف/ط1
12 -سير أعلام النبلاء/ للذهبي/ بيروت /مؤسسة الرسالة/ ط9/ تحقيق: شعيب الأناؤوط وآخرين.
13 -الصحاح /بيروت/ دار العلم للملايين/ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.
14 -صحيح البخاري/ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / استانبول/ المكتبة الإسلامية.
15 -صحيح الجامع الصغير وزيادته/ للألباني/المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة 2/ 1399هـ.
16 -صحيح مسلم/ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري/ بيروت /دار الفكر / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
17 - ضعيف الجامع الصغير وزيادته/ للألباني/ بيروت /المكتب الإسلامي/ /الطبعة 2/ 1399هـ.
18 -طبقات الحنابلة/ لابن أبي يعلى/ بيروت/ دار المعرفة.

19 -العراق في أحاديث وآثار الفتن/ مشهور حسن سلمان/ ww.islamway.com

20 -فتح الباري بشرح صحيح البخاري/لابن حجر/ الرياض/ طبعة دار الإفتاء.

21 -الفتنة وموقف المسلم منها لمحمد بن عبد الوهاب العقيل، / الجامعة الإسلامية بالمدينة /ط1/ 1429هـ/2008م

22 -الفوائد / لابن القيم/ بيروت/ دار العلم للملايين.

23 -القاموس المحيط للفيروزأبادي/ط7 /بيروت/مؤسسة الرسالة/ 1410هـ

24 -لسان العرب، لابن منظور /ط بيروت /دار الفكر/1410هـ

25 - مجلة المجتمع – العدد 1704 – تاريخ العدد 2006/06/03]

26 -مجلة المزدهر/ العدد (23) / أغسطس 2010م

27 -مجموع الفتاوى/ لابن تيمية/جمع عبد الرحمن بن قاسم/ الرياض /ط دار الإفتاء.

28 - مذهب آل البيت/ لعبد المنعم الزين/ السنغالية للطباعة/ ط1

29 -المستدرك على الصحيحين/لأبي عبد الله محمد الحاكم / بيروت /دار الفكر/ 1398هـ.

30 -المسند/ للإمام أحمد بن حنبل/ بيروت /دار الرسالة/تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإخوانه/ ط1/1417هـ

31 -معجم مقاييس اللغة /القاهرة/ مكتبة الخانجي/ الطبعة 3 /تحقيق عبد السلام هارون.

32 -المعجم الكبير/ للطبراني/ بيروت /دار إحياء التراث العربي /تحقيق: حمدي السلفي.

33 -منهاج السنة النبوية/ لابن تيمية/الرياض/طبعة جامعة الإمام/ 1406هـ

34 -المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ للنووي/ بيروت /دار الفكر .

الموطأ/ للإمام مالك بن أنس/بيروت/ دار الكتاب العربي/1406هـ /تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي.

المواقع الإلكترونية:

ww.islamway.com
http://www.binbaz.org.sa/mat/8341
www.drmalo.com/spip.php?article343

فهرس الموضوعات

المقدمة	2-1
الفتنة لغة واصطلاحا	4-3
الفتنة في القرآن	6-5
الفتنة في السنة	10-6
سنة الله في ابتلاء المؤمنين	12-11
أسباب وقوع الفتن	15-13
أنوع الفتن	21-15
أحوال الناس في الفتن	24-21
العواصم من الفتن	33-24
العلماء الربانيون ومنهجهم في التعامل مع الفتن	38-34
قصة محنة الإمام أحمد	36-35
كراهته الشديدة للخروج حقنا للدماء	37-36
أنوع الفتن في السنغال	44-39
كيف تعامل الدعاة مع الفتن في السنغال	46-44
فتنة المد الشيعي في السنغال	49-46
الموقف من هذا المد الشيعي	50-49
الخاتمة	53-50
التوصيات	54
الملاحق	58-55
فهرس المراجع	60-59
فهرس الموضوعات	61